



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي



بنية المكان و الشخصية في

رواية "القوقعة" لمصطفى خليفة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في اللغة والادب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

ناصرى علاوة

إعداد الطالبين:

- بلال ساعي

- شيماء لاغة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
بهلول وهيبة	أستاذ محاضر - ب -	جامعة العربي التبسي	رئيسا
علاوة ناصرى	أستاذ محاضر - أ -	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
لويذة جبابلية	أستاذ محاضر - ب -	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكرتكم

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ لقمان "12" وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: « من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عز وجل ».

الحمد لله السميع العليم ذي العزة والفضل العظيم والصلاة والسلام على المصطفى الهادي
الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

اشكر الله العلي القدير الذي أثار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على إتمام هذا العمل .كما
أتقدم بالشكر والامتنان للدكتور **ناصر علاوة** لقبوله الإشراف على هذه الدراسة الذي لم
يدخر وسعا في تقديم النصيحة والتوجيه لنا طيلة إجراء هذه الدراسة من خلال إرشاداته
القيمة وتوجيهاته في كل خطوات البحث.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذتي بكلية الآداب واللغات الذين ساهموا بتوجيهاتهم
ونصائحهم.

كما أقدم شكري إلى لجنة المناقشة الكرام الأستاذة **وهيبة بهلول** رئيسا والأستاذة **لويذة
جبابلية** مناقشا والأستاذ **ناصر علاوة** مشرفا.

وفي الختام اشكر كل من ساعدنا في هذا العمل.

إِهْدَاء

www.art4fonts.com

لك الحمد رب على كثير فضلك و جميل عطائك مهما حمدنا لن نستوفي حمدك الصلاة

و السلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه و سلم .

إلى ذلك الحرف اللامتناهي من الحب و الرقة و الحنان، إلى التي بحنانها ارتويت و بدفئها

احتमित و بنورها اهتديت، إلى التي كانت تتمنى رؤيتي و أنا أحقق النجاح و شاء الله أن

يأتي هذا اليوم أهدي هذا العمل إلى أمي الغالية.

إلى درعي الذي به أحتمي و في الحياة به أفنديت أبي حفظه الله .

إلى كل من يذكرهم القلب قبل أن يدونهم القلم بين صفحاتي، إلى من قاسموني الحياة حلوها

و مرها تحت سقف واحد إخوتي " نور الدين و زوجته و أحلى كتكوت "مازن"

إلى توأمي كمال سدده الله خطاه، إلى يحي و أخواتي حفظهم الله جميعا .

إلى أحسن من عرفني بهم القدر: زمالي عزالدين الذي بذل جهدا كبيرا معنا

إلى كل من : هيثم دقايشية، مشري فواز، فوزي زمالي، بشير بن خذير، اونيس، رستم بن

عرفة، خالد سدايرية، عبد الحق عبد الحي، عبد الله زمالي، فؤاد، هشام عزيز، صيفي حسام

الدين، بيازة الياس، زاروني احسين، الحبيب، فتحي عباس، فريد ، هشام.

إلى كل من لا يدركهم قلبي أقول لهم بعدتم و لم يبعد حضوركم في قلوبنا

إلى كل من ساهم في هذا العمل و ساعدني و لو بكلمة طيبة .

إِهْدَاء

www.arbfonts.com

إلى الذي كان يدفعني قدما لنيل مبتغاي أبي يا قرة عيني حفظك الله
وأدامك سندا لي.

إلى من حصد الأشواك عن دربي لأصل وأحقق حلمي.

إلى شمعة منتقدة تنير ظلمة حياتي أمي الحبيبة، يا نبض قلبي.

إلى توأم روحي ونصفي الآخر زنوبة

إلى كافة أخواتي وإخوتي وزوجاتهم

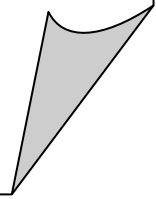
إلى صديقاتي الهام شهرزاد سارة أميمة

إلى كل سجين ذاق مرارة الألم والمعاناة ظلما

إلى من كان لهم الاثر في حياتي.

اهدي عملي المتواضع.

مقدمة



مقدمة:

تعتبر الرواية جنسا أدبيا ظهرت عند الغرب ثم امتدت جذورها في عمق التاريخ إلى أن وصلت للعرب، وأصبحت فنا تعبيريا مادتها اللغة وقوامها الخيال، وصوت الأديب الذي يثبت ذاته من خلالها. لقيت الرواية راجا كبيرا من قبل الأدباء والنقاد واهتماما فائقا فقد اهتم الأدباء بمشاكل الأمة وقضايا العصر فحاولوا من خلالها خلق حلول لمشاكلها عن طريق الأوراق والأقلام وهذا ما نلمسه في الرواية الاجتماعية السياسية.

لقد حملت الرواية السياسية في مضمونها قضايا امة وردود أفعال عن الواقع البائس سعيا منها لتغييره، وحاولت الكشف عن أقنعة أصحاب السلطة الجائرة فاتخذت أدب السجون موضوعا، فهو أدب ينقل حياة المعتقلين داخل السجن والمعاناة القاسية من قمع للحريات الشخصية وظلم واستعباد، تأصلت جذوره وامتدت عبر العصور فقد جاء ذكر السجن في القرآن الكريم بالتحديد في سورة يوسف إلى أن بلغ العصر الحديث فتعلق بالنظام والصراع القائم بين المثقف والسلطة، من جهة ترى السلطة أن لها الأحقية في إصدار الحكم، ومن جهة أخرى يرى المثقف أن له حرية التعبير وإبداء رأيه فيكون مصيره السجن بتهمة المعارضة السياسية والانتماء لأحزاب مخالفة للنظام.

ذنب المثقف الوحيد بالنسبة للسلطة ثقافته التي فتحت له آفاقا واسعة نحو حب التطلع والنظر في السياسة والتدخل في قرارات الساسة وبالتالي الكشف عن الأعياب المضمرة لإعلاء راية الشعب وتحقيق مبتغاه.

وهذا ما جعلنا نَعنون موضوع بحثنا ببنية الشخصية والمكان في رواية "القوقعة لمصطفى خليفة".

من المقاصد والدوافع الأساسية التي جعلتنا ننجز بحثنا هذا تمثلت في:

- 1- أما السبب الذاتي فميلنا إلى حب الاطلاع والكشف عن أسرار السجون العربية وخبايها وكيفية معاملة المثقفين داخل السجون.
- 2- قادننا الفضول إلى تقصي أشكال السجون وأسمائها، ومختلف أنواع التعذيب داخلها وإلى أي مدى سيتحملها السجين.
- 3- ظاهرة الاستبداد والقهر والتعذيب داخل الهاجع وكيف تمارسها السلطة في العالم العربي.

أما الموضوعي فهو محاولتنا الإسهام في نقد الرواية من خلال الوقوف عند مضامينها ولغتها.

- 4- أدب السجون موضوع جدير بالاهتمام يحيل على اتجاهات مختلفة ويفتح أبواب شتى كحقوق الإنسان والحرية والتسلط السياسي.

يتمحور بحثنا حول إشكالية رئيسية خلقت لنا مجموعة من التساؤلات نجملها في مايلي:

- ما المقصود بأدب السجون؟
- ماهي مضامينه؟
- ماهو السجن؟
- لماذا هذا الصراع القائم بين السلطة والمثقف؟
- ماهي أهم المؤلفات التي تتدرج ضمن أدب السجون، ومن هم أهم رواده؟
- ماهي الأمكنة التي ذكرت في رواية القوقعة ومن هم الشخصيات الفاعلة فيها؟
- هل هناك مقاومة في ظل التنكيل والظلم أم فشل واستسلام؟

وقد اتبعنا المنهج البنيوي النفسي في هذا العمل لميل صاحب الرواية إلى البعد النفسي من خلال سيرته الذاتية داخل سجون "تدمر" الصحراوية.

وقد اعتمدنا كذلك على مجموعة من المراجع التي سهلت علينا البحث:

- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد.
- حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية).
- ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن.
- سليمان بن صالح الخراشي: المشاهير والسجون.

إضافة إلى المجلات والكتب الالكترونية

ومن الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذه المذكرة قلة الدراسة حول رواية القوقعة وانعدام المراجع التطبيقية فيها، وكذا اهتمام النقاد بأدب السجون في الشعر العربي خاصة.

وقد اتبعنا في هذا الموضوع خطة منهجية تتكون من مقدمة التي بين أيدينا، وفصل أول عبارة عن مهاد نظري ضبطنا فيه الجهاز المصطلحاتي وعنوان المذكرة حاولنا فيه تعريف البنية وضبط مفهوم المكان والشخصيات، وأنواع المكان والشخصيات ثم عرفنا الرواية.

أما الفصل الثاني فوُضع تحت عنوان أدب السجون تطرقنا فيه إلى تعريف الأدب ثم السجن، والمقصود بأدب السجون وكذا السبب الجوهرى لظهوره ثم بينا أن السجن ليس بالضرورة مقرا للمجرمين فقط، فقد ولجه صفي الله يوسف عليه السلام ذاق مرارة السجن ظلما وعدوانا، تحدثنا أيضا عن السلطة والمثقف وعن وهم الحرية وذكرنا فيه أهم مؤلفات أدب السجون.

أما الفصل الثالث فهو فصل تطبيقي استنبطنا فيه جملة الأماكن وصنفناها إلى أماكن مغلقة ومفتوحة وكذا الشخصيات الرئيسية منها والثانوية، ولجنا أيضا إلى الجانب النفسي في الرواية ووصف الحالة التي آلت إليها نفوس السجناء.

أما الخاتمة فأجملنا فيها مجموعة النتائج المتوصل إليها.

مقدمة

وفي الأخير نشكر الله عز وجل الذي كان لنا عوناً ومعيناً خلال مسيرتنا الدراسية
والأستاذ المشرف على صبره فقد تحملنا طيلة بحثنا، ولا ننسى أعضاء اللجنة الموقرة الذين
قوموا عملنا.

الفصل الأول: ضبط الجهاز المصطلحاتي

مفهوم البنية

مفهوم الشخصية

أنواع الشخصيات

مفهوم المكان

أنواع المكان

ثقافة المكان

الفضاء كمعادل للمكان

الفرق بين الفضاء والمكان

مفهوم الرواية

1- مفهوم البنية:

أ- لغة:

تعدّد مفهوم البنية واختلف فكلّ عرّفها على شاكلته، ففي لسان العرب "لابن منظور":

البنية لغة: جاء في مادة (ب - ن - ي) أن «البنى نقيض الهدم، بنى البناء بنيًا وبنّاء، وبنى، مقصور: وبنّيانا وبنية وبنّاية وابتناه وبنّاه والبنّاء: المبنى والجمع أبنية واستعمل "أبو حنيفة" البناء في السفن والبنية والبنية ما بنيته: هي البنى والبنى»¹.

أمّا في معجم مقاييس اللغة أن «بنى" هو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض

يقول: بنيت البناء أبنية»².

ومن التعريفين السابقين يتبين لنا أن محور البنية هو البناء بما في ذلك الوسائل المستخدمة في هذه العملية.

كما وردت لفظة "بنى" في القرآن الكريم لتدل أيضا على معنى البناء في قوله تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية 22 سورة البقرة.

و في سورة أخرى من قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ الآية 20 سورة الزمر.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، ط1، 2004، مادة (ب-ن-ي)، ص365.

² - أبي الحسن احمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة تح وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1979، مادة بني، ص 202.

و في معجم الوسيط « البنية ما بنى. (ج) بنى وهيئة البناء، ومنه بنية الكلمة: أي صيغتها، وفلان صحيح البنية¹».

ب - اصطلاحا:

تطرق مجموعة من الأدباء إلى تعريف البنية ورسم صورة توضيحية لها فعند "جيرالدبرنس" البنية: « شبكة العلاقات التي تتولد من العناصر المختلفة لكل بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل وإذا عرفنا السرد مثلا بأنه يتألف من القصة و الخطاب، فإن البنية ستكون شبكة العلاقات الحاصلة بين القصة والخطاب والقصة والسرد والخطاب والسرد والقصة²».

أي أنّ البنية عبارة عن هيكل و جملة من الروابط التي تحقق الاتساق والانسجام بين ما يتلفظ به ويعتمد أساسا على اللغة الشفوية، وبين ما يتلقى ويكون بالقراءة القائم على أسلوب الحكى و القص.

أما "صلاح فضل" فقد عرفها على أنها: « ما يكتشف عنها التحليل الداخلي لكل ما والعناصر والعلاقات القائمة بينها، ووضعها والنظام الذي تتخذه ويكشف هذا التحليل عن كل من العلاقات الجوهرية و الثانوية معتبرا أن النوع الأول هو الذي يكون البنية التي تعد هيكل الشيء الأساسي أو التصميم الذي أقيم طبقا له³» ومن هذا التعريف نستنتج أن البنية مجموعة من العلاقات التي تربط الجزء بالكل باعتبارها قاعدة أساسية في العمل الروائي.

¹- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، تركيا، ط2، (د-ت) ص72.

² - جيرالد برنس: المصطلح السردى، تر: عابد خزن دار، مرتوق، محمد بزي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة ط1، 2003، ص224.

³ - صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد العربي، دار المشرق، القاهرة، ط1، 1998، ص121.

كما يعرفها عالم النفس السويسري " جان بياجيه " حيث يقول:
« أن البنية هي نسق من التحولات، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا (في مقابل
الخصائص المميزة للعناصر) علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما و يزداد ثراء
بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن
تخرج عن حدود ذلك النسق ... »¹.

مفهوم الشخصية:

تعتبر الشخصية عنصرا من عناصر العمل الروائي وقوامه الأساسي ومركز نشاط
الحدث فلا يتأتى إلا في وجود الشخصية، فالأدوار التي يشكلها الروائي يخلق لها أشخاصا
تتناسب معها وتليق بها.

أ - لغة:

جاء في مادة " شَخَصَ " عند "ابن منظور" « الشخص جماعة شخص الإنسان و غيره
مذكر، و الجمع أشخاص و شُخُوص و شِخَاص ... سواء الإنسان وغيره نراه من بعيد
وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه »².

أيضا في معجم " الوسيط " نجد هذا المصطلح : « شخص الشيء خصوصا، ارتفع - وبدا
من بعيد-، والسهم: جاوز الهدف من أعلاه، وشخص الشيء: عينه وميزه عما سواه
ويقال شَخَّصَ الداء وشَخَّصَ المشكلة...والشخصية: صفات تميز الشخص عن غيره ويقال
فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة، وإرادة وكيان مستقل »³.

¹ - زكرياء إبراهيم: مشكلة البنية، مكتبة مصر، (د-ط)، (د-ت)، ص30.

² - ابن منظور: لسان العرب، ص36.

³ - إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ص475.

كما نجد هذه اللفظة في معجم " تاج العروس " « الشخص سواء الإنسان وغيره، تراه من بعد، و في الصحاح: من بعيد »¹.

نستنتج مما سبق أن مصطلح الشخصية هو جملة من الصفات المميزة و الملامح الواصفة لشخص ما والتي تفرده عن بقية الأشخاص الأخرى و التي تتمثل في المظهر الخارجي.

ب- اصطلاحا:

الشخصية عنصر من عناصر العمل الروائي فهي مرآة عاكسة للحدث و صورة موضحة لأفكار الكاتب وتصويراته، وهي بدورها تساعده في الخطاب السردي وتوسع آفاقه ومتطلعاته. « فإن قدرة الشخصية على تقمص الأدوار المختلفة التي يحملها إياها الروائي يجعلها في وضع ممتاز حقا: بحيث بواسطتها يمكن تعرية أي نقص، وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع »².

« أن الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي وأطراده »³.

فالشخصية الروائية تعتبر نقطة اتصال مع الزمن والمكان، المكونات الأساسية في هيكل الرواية فهي تعيش في زمن معين و مكان محدد وفق تسلسل عقلي منطقي .

¹ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج18، تح عبد الكريم العزاوي، سلسلة تصدرها وزارة الاعلام في الكويت، الكويت- لبنان، ط1، 1979، ص06.

² عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998، ص79.

³ حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990 ص20.

كذلك نجدها عند " محمد عزام " حيث يرى « أن الشخصية الروائية هي التعبير الأمثل عن فكر جماعة إجتماعية معينة لأن وعيها جزء من الوعي الجماعي، و لأن رؤياها للعالم هي رؤيا الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الروائي ».¹

"فمحمد عزام " يجعل الشخصية في حيز اجتماعي حيث أنها جزء من المجتمع و صورة للحالة الاجتماعية و يدمج ذاتيته مع مجتمعه تحت سقف واحد، و هذا راجع إلى تصوراته الإدراكية التي هي نابعة من أفكار مجتمعه، فلا وجود للفرد دون جماعة، فالفرد بمثابة منبه فعال و الناطق باسم الجماعة .

ثم إن « الشخصية كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية، ممثل متمم بصفات بشرية، و الشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية (وفقا لأهمية النص)... ».²

فالشخصية ملمح للشخص و بؤرة الحدث " ففيليب هامون " « عدها مجرد كائن لغوي محض، إن الشخصية بناء يقوم النص بتشبيده أكثر مما هي معيار مفروض من خارج النص رافضا إعطاءها أي بعد مرجعي، ولكن الشخصية لا يمكن أن تعد مجرد علامات لغوية فقط، لأن الاقتصار على هذا الفهم يفقد النص الروائي صيغته الإنسانية ... ».³

جرّد "البنويون" الشخصية من كونها تحمل طابعا اجتماعيا و عدها نظاما من العلامات أساسه اللغة يتأسس وفق الأفعال والأحداث داخل النص بعيدا عن المرجعية الاجتماعية والأحكام الثقافية.

« إن التحليل البنوي وهو يجرّد الشخصية من جوهرها السيكلوجي ومرجعها الاجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها « كائنا » أي شخصا، وإنما بوصفها فاعلا ينجز دورا أو

¹ - محمد عزام: شعرية الخطاب السردي دراسته، من منظورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص20.

² - جيرالد برنس: المصطلح السردي، ص42.

³ - مرشد احمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005، ص35.

وظيفة في الحكاية، أي بحسب ما عمله، ومن ثم يستبدل غريماس مفهوم الشخصيات بمفهوم العلامات¹.

ركز التحليل البنيوي على الشخصية باعتبارها عنصرا يؤدي مهامها أسندت إليه من طرف الروائي بحيث تصبح علامات ورموزا إيحائية بعيدا عن كونها شخصا وفردا ضمن المجتمع يمثله ويرسم معالمه .

« الشخصية هي موضوع القضية السردية، بما أنها كذلك فهي تختزل إلى وظيفة تركيبية محضة، بدون أي محتوى دلالي. بالإضافة إلى الأحداث التي تلعب الصفات في قضية دور المحمول، و إنها ليست مرتبطة بالفاعل إلا بصفة مؤقتة².

من هنا يتضح أنها مرتبطة بالحدث ارتباطا مؤقتا لأنها من جهة عنصر من عناصر الرواية، ومن جهة أخرى مساعد للخطاب، والشخصية يمكن لها أن تتصل من الحدث ويصبح لها دورا مستقلا حيث تفصح عن الشخصيات بذكر صفاتهم ولامحهم.

« احتلت الشخصية مكانا بارزا في الفن الروائي وأصبح لها وجودها المستقل عن الحدث بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة³.

انفردت الشخصية عن الحدث حيث أصبح الحدث يستمد حركيته وسيروته منها.

بما أن الشخصية المحرك الأساسي داخل العمل الروائي « وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب و تقنيات إجراءاته و تصوراته وأيديولوجياته أي فلسفة في الحياة⁴.

¹ - محمد بوعزة: تحليل النص السردية، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010، ص39.

² - تزفيتان تودوروف: مفاهيم سردية، تر- عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف المركز الثقافي البلدي احمد عيدوني،(د- م)، ط1، 2005، ص73.

³ - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص208.

⁴ - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص16.

فالشخصية في نظر "عبد الملك مرتاض" صورة للواقع عن طريق تجسيد أفكار الكاتب وتصويراته الإدراكية ونظرته الشاملة للحياة على أرض الواقع، ومنه فالشخصية مدركات حسية نلمسها عند القراءة والتلقي لكتابات الروائي الذي له غاية من تصنيفه لهذه للشخصية.

أنواع الشخصيات:

تعددت و تنوعت الشخصية داخل العمل الروائي، فنجد منها من يؤدي أدوار البطولة ويتراأسها الشخصيات الرئيسية، ومن يقوم بدور ثانوي ويأتي في الدرجة الثانية وتؤديه شخصيات ثانوية « فطبيعة النص الروائي تفرض شخصيات تقوم بدور رئيسي في إنجاز الأحداث و يطلق عليها الشخصيات الرئيسية، وشخصيات تقوم بدور ثانوي يطلق عليها الشخصيات الثانوية »¹.

1- الشخصيات الرئيسية:

« إن الشخصيات الرئيسية و نظرا للاهتمام الذي تحظى به من طرف السارد، يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فعليها تعتمد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي »².

يركز الروائي على الشخصيات الرئيسة فيمنحها حقها ويوليها الاهتمام ويعطيها أدوارا كبيرة تتناسب معها و تليق بها مفعمة بالحركة والديمومة .

¹ - حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص51-52.

² - محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص57.

2- الشخصيات الثانوية:

يمنحها السارد أدواراً مساعدة و تلي الشخصيات الرئيسية « بالمقابل تنهض الشخصيات الثانوية بأدوار محدودة، إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية، قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد من حين لآخر »¹.

مهما كان دور الشخصية الرئيسية فعال فلا يمكن إهمال دور الشخصية الثانوية، فهي تعتبر محركاً من محركات العمل الروائي قد تكون مرتبطة بالشخصية الرئيسية وملازمة لها في أغلب الأحداث.

مفهوم المكان:

يعتبر المكان الإطار الذي يجمع الشخصيات تحت سقفه وهو مكون من مكونات الرواية وبؤرة الحدث فإذا ذكر الروائي جملة من الأحداث المتسلسلة يجب أن ينوطها بمكان وقوعها، و يحدد الحيز الذي تقوم فيه من بداية العمل الروائي إلى نهايته.

أ- لغة:

عرف المكان في لسان العرب " لإبن منظور " : « المكان بمعنى الوضع، والجمع أَمَكْنَةٌ وَأَمَاكِنٌ، قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان لأن العرب تقول كُنْ مكانك و قم مكانك، فقد دل هذا على أن مصدر من كان أو موضع منه »².

أيضاً قد ذكر هذا الأخير في القرآن الكريم في سورة مريم في قوله تعالى ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ سورة مريم الآية 22 .

¹ - محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص57.

² - ابن منظور: لسان العرب، ص113.

و مما سبق نستنتج أن المكان يقصد به الموضوع .

و في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ سورة الأعراف الآية 95.

أما في معجم الوسيط: «(المكان) من يدير المَكْنَةَ، ومن يبيع المَكَنَات

المكان: المنزلة: يقال: هو رفيع المكان والموضع. (ج) . أمكنة»¹.

ساعد المكان بدوره الروائي خلال عملية السرد باعتباره الحيز الذي يصف ثقافة المجتمع وعاداتهم والطبقية التي تميز مجتمع عن مجتمع آخر.

فهو «العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض، و هو الذي يسم الأشخاص و الأحداث الروائية في العمق، والمكان يلد السرد قبل أن تلده الأحداث الروائية و بشكل أعمق و أكثر أثرا»².

ب- اصطلاحا:

«المكان شبكة من العلاقات و الرويات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية»³.

المكان رابطة وثيقة للحدث حيث يسير الحدث بإحكام تام بين أوساط مختلفة تحده من كل الجهات أين يتم تجسيد الوقائع بشكل طبيعي و بانتظام.

¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص706-772.

² - يسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، ط1، 1986 ص05.

³ - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص32.

كما تذهب سيزا قاسم إلى القول: « تقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع و قد تخالفه »¹.

فمفهوم المكان حسب سيزا قاسم لا يرتبط بالحالة التي يعيشها الروائي فإما يصور واقعه الاجتماعي و إما يصور واقعا آخر تأثر به، أو واقعا متخيلا رسمه في مخيلته أرسى معالمه في ذاكرته أسقطه على أرض الواقع، وأراد أن يقحم ذاتيته ويبرز نظرتة له و إبداعه الفني من خلال رسمه لقاعدة متينة قوامها الزمان والشخصيات والمكان يجمعها في عمله الروائي ويربطها ببعضها البعض.

عرف المكان في الأدب بأنه عنصر من عناصر الفن الروائي ومكمل لبقية العناصر الأخرى (الزمن - الحدث - الشخصية) فقد تطرق إلى تعريفه بعض الأدباء فمنهم من ربطه بالجانب الواقعي، وضمنه داخل العمل الروائي ومنهم من ربطه بمواضع العبادة وبالجانب الديني و هذا ما نجده عند المتصوفة.

المكان في الصوفية:

فقد جاء في تعريف المكان عندهم أنه « المنزلة التي هي أرفع المنازل عند الله، وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ سورة القمر الآية 55.

و يعرف أيضا عندهم بأنه « عبارة عن منزلة في البساط، لا تكون إلا لأهل الكمال، الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت »².

¹ - سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، 1995 ص 103.

² - طارق زيناوي: صورة المكان في المخيال الصوفي، المركز الجامعي عبد الحفيظ بموصوف، ميله، الخطاب، مج 13 ص 188.

قدس الصوفيون المكان و أعطو له مكانة رفيعة حيث إختص به أهل الكمال والمنزلة، فهو حيز يضم و يساعد أهل الرفعة في أداء مناسكهم وواجباتهم الربانية.

المكان في الفن :

« إن المكان الفني منبع لعلوم إنسانية مختلفة كالتاريخ والفلسفة والنقد و الأنثروبولوجيا ... فقد كانت (الإلياذة والأوديسة) لهوميروس مصدران مهمين لمعرفة أخلاق الإغريق و عاداتهم، وأديانهم و تاريخهم ...»¹.

بات المكان رقعة جغرافية خالدة عبر التاريخ و الزمن يصف حال أمم سابقة ومعتقداتها والطقوس التي مارستها و الأعراف التي اجتمعت عليها.

كذلك في تعريف آخر المكان يساوي الفضاء « الفضاء مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة كالامتداد والمسافة »².

« المكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع والمواقف (مكان المواقف وزمانها، مكان القصة) و الذي تحدث فيها اللحظة السردية »³.

و « يربط "غريماس" مفهوم المكان عنده بالخطاطة السردية، إذ لا يعتبر في نظره المكان مجرد فضاء فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية، إنما يتعلق بما تمليه عليه الخطاطة السردية »⁴.

¹ - سليم بنقته: تلمسان نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، المخبر، العدد6،، جامعة محمد خيضر - بسكرة الجزائر، 2010، ص05.

² - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص34.

³ - جيرالد برنس: المصطلح السردية، ص214.

⁴ - كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "لطيب صالح"، الأثر، مجلة الآداب واللغات، ورقة العدد4، ماي2005، ص142.

ارتبط المكان بالعملية السردية ارتباطاً تاماً حيث لا يمكن الاستغناء عنه لأن ذلك سيحدث خلافاً في المواقف وصعوبة في تصنيفها فهو بمثابة يد الروائي التي تساعد في وصف تجربته وحالاته الشعورية حيث ينقل مكنوناته وطقوسه و معالم بيئته التي كان يعيش فيها. « يمثل المكان واحداً من أهم العناصر التكوينية الخاصة بالأعمال الأدبية حيث إنه شرط مفصلي لا استغناء عنه في الأعمال الروائية، فهو الحاضن لمختلف العناصر الروائية الأخرى كالشخصيات والأحداث والزمان... بل إنه في بعض الأعمال الروائية مقصود لذاته، بحيث يبني العمل كله على مقتضاه».¹

أنواع المكان:

تظهر حركية الحدث و سيرورته في الرواية من خلال المكان إذ أنه جزء لا يتجزأ من عالم الروائي سواء المتخيل أو الواقعي، فهو يحمل معانٍ ودلالات نسقية فكرية وعاطفية حيث يتأثر السارد بمحيطه فتدعوه مخيلته إلى الإبداع الفني والتعبير عن خلجات نفسه وما يدور في خاطره، فيصورها في قالب قصصي يجمع فيه الشخصيات ويضع لها أدواراً تتناسب مع أعمارهم ومكانتهم، تربطهم أحداث وقعت خلال زمن ما ومكان معين، فتتنوع هذه الأماكن وتنفرد فنجد المفتوح منها والمغلق.

« ويمكن للقارئ بناءً على ما تقدم أن يميز بين الأمكنة المفتوحة التي تكون متاحة لجميع الشخصيات القصصية ولا تحدها حواجز وتسمح للشخصية بالتطور والحرية كالشوارع والحدائق العامة وما شابهها و الأمكنة المغلقة كالبوت والمقاهي والملاهي وما شابهها في السرد القصصي».²

¹ طارق زيناوي: صورة المكان في المخيال الصوفي، ص186.

² محبوبة محمدي محمد زيادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، (د-ط)، دمشق، 2011، ص44.

أ- الأماكن المفتوحة:

وهي الأماكن التي تطلق العنان للشخصية ولا تكبل حريتها ولا تقيدها، فيمكن لها التحرك بطواعية وإرادة حرة.

فمثلا المكان الثقافي « مكان امتزج بعبادات سكانه وتقاليدهم وطريقة تفكيرهم وملامح بشرتهم وهو ما يعرف بحفريات المكان»¹.

« فتتخذ الروايات في عمومها أماكن مفتوحة على الطبيعة، تؤطر بها للأحداث مكانيا وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي، وفي طبيعتها وفي أنواعها، إذ تظهر فضاءات و تختفي أخرى»².

يضاف إلى الأماكن المفتوحة الأماكن العامة وهي أيضا لا تكبل الحرية ولا تقف عائقا أمام الحريات الشخصية والذات البشرية فتمنحها حرية التصرف.

« وهذه الأماكن ليست ملكا لأحد معين ولكنها ملك للسلطة العامة، للدولة النابعة من الجماعة ويمثلها الشرطي المتحكم فيها، ففي كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته وينظم فيها السلوك، فالفرد ليس حرا، ولكنه عنده أحد يتحكم فيه»³.

ب- الأماكن المغلقة:

وهي الأماكن التي تقيد الذات البشرية وتمنعها حقها فلا يمكن لها التحرك والسير بشكل آمن طبيعي، وإنما تحكمها ضوابط محكمة ومقيدة « يكتسب المكان وجودا من خلال أبعاده

¹ - محبوبة محمدي محمد زيادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص 45.

² - الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010 ص244.

³ - محمد بوعزة: تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، ص107.

الهندسية والوظيفية التي يقوم بها فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بعصره، فإن الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى ليسكن بعضها، ويستخدم بعضها في مآرب متنوعة، فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة، والمستشفى مكان للعلاج والسجن قيد يسلبه حرته، والمسجد فضاء لآداء العبادة»¹.

ج- الأماكن المغلقة الاختيارية:

« و يقصد بهذه الأماكن تلك التي تقيم فيها الشخصيات ردحا من الزمن وتنشأ بينهما جدلية قائمة على التأثير والتأثر، وهذه الأماكن تعكس قيم الألفة و مظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يقطنون تحت سقفها»².

إذن فالأمكنة المغلقة أنواع هناك:

« أمكنة مغلقة اختيارية (فضاء البيوت - البيت الراقي البيت الشعبي - البيت المظلم وأماكن الإقامة الجبرية) (فضاء السجن)، فضاء الزنزانة و فضاء الفسحة وفضاء المزار وأماكن انتقال عامة (الأحياء والشوارع الأحياء الراقية الأحياء الشعبية و أماكن انتقال خاصة: المقهى)»³.

وهي أمكنة عادة ما تكون انطوائية غير مختلطة و مضبوطة بأحكام منها ما يجعل الإنسان يتحرك بإرادته و منها ما يجبر الإنسان على البقاء و المكوث مرغما، يتعامل بمبدأ الحتمية مسيرا لا مخييرا، أمامه حواجز تعرقل سيره و تحجزه كالسجون مثلا أماكن المعاناة النفسية والجسدية.

¹ - الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص204.

² - محبوبة محمد أبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص57.

³ - حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي، ص41.

ثقافة المكان:

إن المكان يترك في الشخص انطبعا حيث يتأثر به و يؤثر فيه، و يجعل بصمة في نفسية الشخصية، فتحاول استحضاره في كل محضر.

« إن ثقافة المكان تشكل بنية نصية حيّة في النص الروائي، لها قدرتها على التفاعل والانسجام مع الأحداث والشخصيات، كما تمكن الروائي من النهوض ببنيات الحوار فتخرج المكان عن إطاره الجغرافي»¹.

يستعين الروائي في النص الروائي بالمكان لينوط الأحداث بمكان وإطار وقوعها، فالشخصية يجعلها متنقلة ويربطها بحيز يضمن لها بقاءها و سيرورتها المنطقية الطبيعية.

الفضاء كمعادل للمكان:

هناك من ساوى بين المكان والفضاء في المعنى، وهناك من ميز بينهما انطلاقا من معايير منطقية.

« يفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني في الرواية أو الحكى عامة ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي، فالروائي مثلا في نظر البعض. يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات « الجغرافية» التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن»².

¹ - فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد 2 العراق، 2011، ص266.

² - حميد الحميداني: بنية النص السردى، ص53.

ارتبط مفهوم المكان بالحيز في العمل الروائي، فعادة ما يسمونه الفضاء، فهو رقعة جغرافية تحمل أفكار الكاتب وتجسدها على الطبيعة وأرض الواقع، فالروائي بدوره يشكل شخصيات ويخلق لهم جوا يلائم طبيعتهم وطبقتهم يعرف بالمكان والإطار.

يتخذ مفهوم الفضاء أربعة أشكال:

« **الفضاء الجغرافي**: وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يُفترض أنهم يتحركون فيه.

فضاء النص: وهو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية - بإعتبارها أحرف طباعية - على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب.

الفضاء الدلالي: ويشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها عن بعد، يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.

الفضاء كمنظور: ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال»¹.

الفرق بين الفضاء والمكان:

اعتنى الروائي بالمكان وأعطى له حقه داخل الرواية وجعله ركنا أساسا في هيكلتها فهو يربط بين الشخصية والحدث، فبعض الأدباء أطلقوا عليه اسم المكان والبعض الآخر اسم الفضاء، فتضاربت الآراء واختلفت، فالكثير يرى أن « **الفضاء في الرواية هو أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة**

¹ - حميد الحميداني: بنية النص السردى ص62.

وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية، ثم إن الخط التطوري الزمني ضروري لإدراك فضائية الرواية بخلاف المكان المحدد»¹.

اتسع مفهوم الفضاء وأصبح شاملا عكس المكان فهو يأخذ معنى ضيقا محدودا.

« يشيع مصطلح "الفضاء" عند النقاد الغربيين إذ يعنون به كتبهم ومقالاتهم، في حين يظهر مصطلح "المكان" على استحياء لأداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح الفضاء في كتاباتهم النقدية بخاصة، إنما يحتل مصطلح المكان عندهم مقاما طباعيا أكبر، كما قد يرفض البعض لفظة الفضاء، ويرتضي تسمية أخرى كما فعل "عبد المالك مرتاض" الذي يستعوض بها مصطلح آخر هو الحيز»².

حصر الأدباء لفظة المكان بين الحيز والفضاء والإطار، فهذه كلها أسماء تشابكت وتداخلت، واجتمعت ضمن قاموس واحد يضم أحداث الشخصية ويؤطرها « فلقد أثيرت قضية الفضاء والمكان في ندوة "الرواية العربية" التي أقيمت بفاس سنة 1919، وذلك حين قسم غالب هيلسا المكان في دراسته الموسومة بالمكان في الرواية العربية إلى ثلاثة أقسام هي: المكان المجازي، والمكان الهندسي والمكان كتجربة معاشة»³.

أما « سيزا قاسم في كتابها بناء الرواية فقد اتجهت إلى التمييز بين الفضاء والمكان لكنها أبقت على استعمال مصطلح المكان في الفصلين الثالث والرابع في كتابها، واعتبرت أن سر التمييز بين المكان والفضاء يكمن في تعدد المصطلح في اللغات (العربية الانجليزية، الفرنسية)»⁴.

¹ - حميد الحميداني: بنية النص السردي، ص64.

² - زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، العدد6، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جانفي 2010، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص04.

³ - المرجع نفسه، ص06.

⁴ - سيزا قاسم: بناء الرواية، ص 97-98.

أقرت سيزا قاسم بالفصل بين المكان والفضاء وبين أفكارها على تعددية مصطلح المكان فهو يأخذ أسماء عدة تختلف من لغة إلى أخرى حسب تعددية اللهجات واختلافها. « يشير حسن نجمي إلى هذا التداخل في كتابه شعرية الفضاء، بحيث يرى ضرورة تمييز الحدود بينهما غير أن هذا التمييز لا يتضح تماما إلى درجة أن صاحب الكتاب ينتهي إلى عدم ضرورة اللاحاح على هذا الفصل فيقول: إذا كان الفضاء والمكان ضروريا، ويستلزم كل قراءة نقدية جدية للقيام به، فإنه بالمثل لا تلح عليه كثيرا بل الأفضل أن نكتفي بتشغيل الفضاء على امتداد الدراسة ولا نذكر المكان إلا حيث ينبغي أن يذكر»¹.

أجمع معظم الأدباء على ضرورة الفصل بين الفضاء والمكان ورجحوا ضرورة مصطلح الفضاء، وذلك راجع إلى شمولية، دائرته واتساع دوره ومجاله، وانحصار مجال المكان، وضيق مصطلحه "فحسن نجمي" ندد بضرورة إطلاق اسم الفضاء، ويجب أن يذكر المكان إلا عند حتمية ذكره.

اختلفت الآراء وتعددت المواقف، فمنهم من فصل الأمر بين حتمية ذكر مصطلح المكان أو الفضاء ورجح الفضاء ومنهم من أبقى على اسم المكان داخل العمل الروائي.

الرواية:

أ - لغة:

جاء في لسان العرب "لابن منظور" في مادة رَوَى فيقال: « رَوَى من الماء بالكسر ومن اللبن يَرَوِي رِيًّا، وتَرَوَى وارتوى ... والريان ضد العطشان ... ويقال شَرِبْتُ شَرَبًا رَوِيًّا، والرواية: هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والرجل المستقي

¹ - حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 2000، ص41.

أيضا رواية، ويوم التروية: يوم قبل يوم عرفة، ورَوَى الحبل رِيًّا فِرَاقِيًّا: قتله ويقال رَوَى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه والروي حرف القافية»¹.

وفي معجم الوسيط: «رَوَى تزود بالماء، ارتوى: روي، ويقال إِرْتَوَتْ مفاصله: اعتدلت وغلظت، الراوي: راوي الحديث أو الشعر، حامله وناقله (ج) رُؤَاةٌ، الرواية: القصة الطويلة، الروية: النظر والتفكير في الأمور وهي خلاف البديهة وبقية الشيء»².

وفي قاموس المحيط: «رَوَى من الماء واللبن، كرضي، رِيًّا وِرِيًّا، ورَوَى، وتَرَوَى وإِرْتَوَى، بمعنى - والشجر: - تنعم، كتروى والاسم الرّي بالكسر و أرواني، وهو رِيَانٌ وهي رِيًّا (ج) رُؤَاةٌ وما رَوَى ورُؤَاةٌ، كغني وإلى وسماء: كثير مُرُو والرواية: المزايدة فيها الماء، والبعير، والبغل والحمار يستقى عليه، رَوَى الحديث يَرُوِي رِوَايَةً و تَرَوَاهُ»³.

تستنتج مما سبق أن مفهوم الرواية يعني الري ويخص السقي والمياه، وفي مجال الشعر يعني الحفظ والارتجال، والرواية تُعنى بالحيوانات التي يحمل عليها الماء أثناء السقي.

ب- اصطلاحا:

سلكت الرواية طريقا نحو التعبير والتنقيح عن الذات فهي بمثابة بوح، وجنس أدبي يحمل في طياته الكثير من المعاني النفسية والاجتماعية والسياسية. فالرواية «تنوع كلامي وأحيانا لغوي اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية، والتفكك الداخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية، وطرق تعبير خاصة بمجموعات معينة، وأرغاف مهيمنة ولغات أجناس أدبية، ولغات أجيال وأعمار متفاوتة»⁴.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة روى، ص 270-271.

² - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، ص384.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص285.

⁴ - ميخائيل بختين: الكلمة في الرواية، تر، يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1988، ص11.

كانت الرواية لغة المجتمع وسلاحه فهي تتادي بصوت واحد يشمل الفرد والمجتمع معا فالروائي فرد يؤثر في المجتمع عن طريق كتاباته ويتأثر به، ويتجلى التأثير في سلوكاته وانطباعه وتصرفاته، فالرواية تعبير وتصوير في آن واحد سواء كان أدبا تخيليا، أو واقعا يلامس الذات الإنسانية والبشرية جمعا.

وهي « أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة من خلال شخصياتها الروائية الفردية ومن هنا تصبح الرواية طاقة سياسية هامة في التعبير عن روح الأمة وأزماتها وطموحاتها»¹.

تعلق مفهوم الرواية بالوعي الإنساني، وخاصة الرواية السياسية فهي ترصد حال المجتمع وتتادي باسم الجماعة، فهي بدورها تحاول أن تكون أدبا التزاميا عن طريق تبني أفكار الأمة وطرحها ومحاولة إيجاد حلول لقضاياها المستعصية.

يعرف الرواية جورج لوكاتش بأنها « جنس متحررا من الملحمة حين يعرفها بأنها ملحمة بورجوازية، وبالنسبة له تمثل بنية الشكل الروائي القطيعة بين الذات والموضوع وبين الأنام والعالم، تبرز هذه القطيعة في الطابع الإشكالي للبطل، وفي الطابع المنحط للبحث عن القيم الأصيلة»².

« بينما يجنح بعض منظري الرواية لربط الرواية بالأسطورة، ومن أولئك جوليا كريستيفا التي تلاحظ أن الفرق العميق بين السرد الأسطوري (أو الملحمي)، والحكاية الروائية هو أن إحداها تنبع من فكر الرمز، وإحداها تنبثق من فكر السمعة، بينما الرواية لدى سانت

¹ - احمد محمد عطية: الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية، مكتبة مدلولي، القاهرة، (د- ط)، (د-ت) ص18.

² - محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ص16.

بروف حقل فسيح من الكتابات التي تتخذ لها سيرة الاقتداء على التفتح على أشكال
العبقرية...»¹.

تشابكت وجهات النظر واتحدت بين كون الرواية أسطورة وملحمة وذلك عائد إلى
العنصر التخيلي الرمزي عن طريق الإيحاء أي التلميح دون التصريح، وهي نوع من الإبداع
الفني الخاص بالذات المبدعة، فالراوي يرسم أفقا انطلاقا من تطلعاته ونظراته للحياة والرواية
نوع من الكتابة متعلقة بقلم الراوي ووجهة نظره.

« والغريب أن المفهوم الأوّل للرواية في اللغة الفرنسية Roman كان أيضا يعني عملا
خياليا سرديا شعريا جميعا، قبل أن يستحيل هذا المفهوم في القرن السادس عشر، إلى
إبداع خيالي نثري، طويل نسبيا يقوم على رسم شخصيات ثم تحليل نفسياتها وأهوائها
وتقصي مصيرها، ووصف مغامراتها»².

تعتمد الرواية أساسا على الخيال فهو أحد مقوماتها، والسرد ثانيا سواء في الشعر أو
النثر، والشخص التي يجعل لها الروائي ميولات ورغبات وأهواء داخل العمل الروائي
ويصنع لها نهاية لمصيرها فبعض الشخصيات تنتهي أدوارها في منتصف الرواية وبعضها
تكمل أدوارها حين تنتهي الرواية وبعضها تضمحل في بداية الرواية ويكون حضورها كعدمه
تحضر وتغيب عشوائيا.

¹ - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص16.

² - المرجع نفسه، ص25.

الفصل الثاني: أدب السجون

مفهوم السجن

مفهوم الأدب

مفهوم أدب السجون

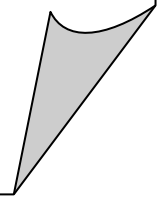
بين التعذيب والمقاومة

السبب الجوهري لظهور أدب السجون

أهم المشاهير داخل السجون

موضوعات أدب السجون

الرواية السياسية



يرتبط الأدب بالسياسة ارتباطاً وثيقاً حيث نلمسُ بينهما علاقة متبادلة، علاقة تأثير وتأثر، فبعض مسائل الأديب التي يطرحها تتمحور حول السياسة لما لها من تأثير نفسي وعاطفي على كيانه، نرصدها في كتاباته حيث يجعلها مادته الخام في الحديث عن أصحاب السلطة الجائرة، مبرزاً نظرتهم لها كفرد يمثل الجماعة، فهو بدوره يعالج قضايا أمته ويصبح قلبها النابض باسم الحرية وإحلال السلام، ومن بين هذه الكتابات نجد أدب السجون موضوعاً فماذا نقصد بهذا الأخير؟ وماهي أبعاده وأسبابه؟ وماهي موضوعاته؟

مفهوم السجن :

أ - لغة:

ففي لسان العرب في مادة «(سَجَنَ): - السِجْنُ : الحَبْسُ - والسجن بالفتح : المصدر سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْنًا أَي حَبَسَهُ، وفي بعض القراءة قال: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ والسجن: المحبس، وفي بعض القراءة في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ فمن كسر السين فهو المحبس وهو اسم، ومن فتح السين فهو مصدر سجنه سجنًا»¹.

وفي قاموس المحيط « سجنه، حبسه، والهـم لم يبـثه السجن بالكسر المحبس وصاحبه: سجان والسجين المسجون : سجناء وسجن وهي سجين وسجينه ومسجونة من سجن وسجائن»².

وفي معجم الوسيط (سَجَنَهُ) سِجْنًا: حَبَسَهُ فهو مسجون وسجين (ج) سجنى وسجناء : وهي مَسْجُونَةٌ وَسَجِينَةٌ (ج) سجنى و سجنان ويقال سجن لسانه وفي الحديث:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ص1947.

² - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مج1، ط1، 2008، ص749.

« ليس لشيء أحق بطول سجن من لسان. وسجن الهم: لم ينشره ولم يظهره (سجنه):
سجنه... (السجان) من يتولى أمر المسجونين (...).»¹

ب- اصطلاحا:

مؤسسة عقابية أنشأتها الدولة لمكافحة الجرائم بشتى أنواعها والحد منها، وفرض سلطتها وإصدار أحكامها، « فقليل من الفقهاء من عرف السجن (المصدر) ومن هؤلاء ابن تيمية والكاساني، قال ابن تيمية: « هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسها».

وقال الكاساني: « هو منع الشخص من الخروج إلى أشغاله ومهامه الدينية والاجتماعية ».²

ومنه السجن يحمل دلالة المنع والحجز فهو يجعل السجين قاصرا، يعجز عن تأدية واجباته بصورة اعتيادية، وكفرد حر له أولوياته ومبادئه نحو الآخر.

كما نجد السجن عند "ميشال فوكو": « عبارة عن قابلية رؤية ومراقبة مركزية تنتشر حولها في الزنزانات كالخلايا في الجسد أي أن السجن نظام بصري مرئي قبل أن يكون صورة حجرية في حين أن القانون الجنائي عبارة عن نظام لغوي».³

فالسجن قمع للحريات الشخصية ونوع من العقوبات الجزائية تتعدد أساليبه وتختلف مدته باعتبارها مركزا مشدد الحراسة من طرف مسؤولية .

¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ص418.

² - مجموعة من المؤلفين: أحكام السجن ومعاملة السجناء، تح، محمد عامر حمصي، مكتبة المنار، الكويت، ط1 1987، ص39.

³ - ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة، 'ولادة السجن'، تر: على مقلد مروتق: مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي للنشر بيروت - لبنان، (د- ط)، 1990، ص36.

مفهوم الأدب:

إن الأدب باعتباره مجالاً وفضاءً واسعاً، وبالنظر إليه من عدة جوانب سواء كونه فناً أو لغة أو وسيلة أو كياناً تعبيرياً على وجه العموم، فإن هذا المصطلح خضع لعدة شروح وتعريفات تتوافق وتختلف فيما بينها وتتعدد حسب وجهات نظر النقاد.

وقد مرت لفظة الأدب بعدة عصور، هذا لأن اللغة العربية لغة ديناميكية تتغير فيها الألفاظ بتغير الزمن وما تقتضيه الأحوال، يقول فواز الشعار: « وقد عنت هذه اللفظة [أدب] خلال العصور، معاني شتى ففي العصر الجاهلي كانت تعني الإصلاح الخلفي قولاً وفعلاً وفي عصر صدر الإسلام كانت تعني التربية والتعليم، وتطور هذا المفهوم في العصر الأموي فأصبح اتخاذ المؤدبين لأبناء الخلفاء والأمراء والوجهاء أمراً ضرورياً، وذلك لتثقيفهم وتقويم سلوكهم وتقوية مهاراتهم الشخصية».¹

انحصرت لفظة الأدب ما بين كونها قيمة أخلاقية تربوية وتعليمية، وكونها سلوكاً اجتماعياً إنسانياً يعتمد أساساً على الممارسة والتمرّن .

ويقول أيضاً: « في العصر العباسي اتسع مفهوم التأديب فشمّل المعطيات الخلقية والعلوم والمعارف على اختلاف أنواعها، فقالوا: الأدب هو معرفة الأصول والقواعد أي الإمام بكل ما من شأنه أن يجعل المرء أنموذجاً في الكمال، أما في عصر النهضة فقد كثرت التعريفات للأدب فقالوا: /.../ تعبير عن الحياة الجميلة وسيلة اللغة والأدب فن التعبير الجميل».²

ومما سبق يتبين لنا أن الأدب صورة للواقع مادته اللغة باعتباره فناً يعبر عن الجمال، والحسن في أرقى مراتبه.

¹ - فواز الشعار: الأدب العربي إشراف اميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999، ص09.

² - المرجع نفسه، ص09.

ويرى "أنطونيوس بطرس": « أن الأدب مجال شامل تتعدد فيه الفنون فيقول: « ولا ننكر أن مفهوم الأدب يشمل علوم اللغة والنقد والأخبار والموسيقى والتاريخ والفلسفة والدين، وسوى ذلك باعتبار أن هذه العلوم ضرورية لفهم أدب الكثير منا لشعراء أو الأدباء، ولأنها لصيقة بحياة الكائن البشري لا يمكنه الاستغناء عنها، وهي من مقومات حياته اليومية»¹.

ويرى "ابن خلدون" في "المقدمة": « أن الأدب علم لا موضوع له يقصد منه الإجابة في فني المنظوم والمنثور»². وهذا ما يتوافق تمام الموافقة مع تعريف أنطونيوس بطرس السابق.

أمّا "شكري عزيز ماضي" فيقول: « الأدب فن لغوي، أو لغة الخيال، أو كيان لغوي أو جسد لغوي، أو مجموعة من الجمل ... وهناك من يرى أن الأدب شكل جمالي خالص أو عمل فني بحت»³.

من خلال هذا القول نرى أن "شكري عزيز ماضي" قدّم تعريفا للأدب من جانب أنه لغة وخيال وبلاغة ورمز ودلالة وتجربة وفن تعبيرية يعتمد الألفاظ كحصون للمعاني.

والأدب عند "محمد مندور" يعتبره جمالا وعاطفة، وانفعالات وأحاسيس فيقول: « نعني بالأدب كما عرفه الأوروبيون كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية وانفعالات عاطفية، أوهما معا»⁴.

الأدب عند "محمد مندور" هو ذلك الانطباع الذي يتركه في نفسية المتلقي من مشاعر جياشة وجدانية تستدعي الجمالية كفن إبداعي.

1 - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2005، ص09.

2- المرجع نفسه، ص09.

3- شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس، بيروت، ط1، 2005، ص11-12.

4- محمد مندور: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، إشراف دليا محمد إبراهيم، مصر، ط1، 2006

ويرى " سليمان معوض " في الأدب أنه: « مجموعة المبادئ التي يستند إليها فن الكتابة الجميل، أو هو مجموعة آثاره الجميلة التي تنقل إلينا عصارة التجربة الإنسانية مظاهرها».¹

ومما سبق يتبين لنا أن صاحبه قد ربط الأدب بعدة أسس ومعايير جمالية تجسد نظرة الإنسان للحياة ورأيه فيها، وذلك بما في الإنسان من جمال حسي، وتفكيري أسلوبية.

في حين أن "شوقي ضيف" يقول: « الأدب كما هو رائع ومشهور يقصد به إثارة الانفعالات في قلوب القراء والسامعين، ولذلك يعتمد على الخيال، يعتمد عليه في التركيب الكلي لإثارة على نحو ما يلاحظ في تكوين العمل الروائي وخلق شخصه وما يجري على ألسنتهم من أقوال وعلى أيديهم من أفعال...».²

أدب السجون:

أدب السجون أدب يعبر عن حال المعتقلين الذين سلبوا حرياتهم وطمست أفكارهم وداسوا على كرامتهم، عُرضوا للتعذيب والتنكيل والمعاملات الوحشية، لما أرادوا التحرر من بوتقة الظلم، وحاولوا التصدي لشتى أشكال الاضطهاد لضمان سلامتهم الجسدية والنفسية والعقلية « فظروف السجن القاسية لها أثر سيء للغاية على الصحة العقلية لجميع السُجناء، والسجناء الأخذة أعدادهم في الزيادة...مُعرضون بشكل خاص للانهايار عند تعرضهم لقدر هائل من الضغط الذي تفرضه السجون شديدة الازدحام».³

¹ - سليمان معوض: مدخل إلى الأدب الغربي المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2005، ص10.

² - شوقي ضيف: البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص10.

³ - تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون " أزمة الصحة العقلية خلف القضبان ودورنا في مواجهتها، تر: أميرة علي عبد الصادق، مرا: هاني فتحي سليمان، مركز الانماء القومي، بيروت -لبنان، ط1، 2015، ص20.

الفصل الثاني: أدب السجون

فسلح المسجون صمته وهو جزء من مقاومته، فالضرب الذي يتلقاه من طرف السَّجان عادة ما يُصاحب بألفاظ مشحونة بكم هائل من الشتائم بغرض استفزازه وإثارة غضبه، وحرصاً منه على نفاذ صبره.

« يدرّب السجن السُّجناء على الوضاعة، فكلّما إزداد السجين وضاعة إزدادت فرصته في البقاء على قيد الحياة».¹

حيث ينسى السجين كرامته وقُدسية ذاته، ويحاول جاهدا التصدي والتحمل لأنه يعيش في دوامة وصراع دائم بينه وبين ضميره، وهو اجسه الداخلية التي تدفعه لإنهاء المهزلة التي يعيشها.

« تُفصح كتابات السجن عن ملمح أساسي من ملامح واقع عربي معاصر بين الغُزاة والطُغاة، ولعل دراستنا لمعتقل أبو غريب في العراق وماعانا المعتقلون في ظل نظام صدام حسين، وفي ظل الاحتلال الأمريكي يُتيح لنا تجسيدا مذهلا لهذا الواقع».²

ويمكن تعريف أدب السجون وضبط هذا المصطلح:

يعرف "ممدوح عدوان" أدب السجون في كتابه "حيونة الإنسان" بقوله: « هو نوع من الأدب الذي استطاع أن يكتبه أولئك الذين عانوا السجن والتعذيب خلال فترة سجنهم وتعذيبهم أو بعدها، أو الذين رصدوا تجارب سجناء عرفوهم أو سمعوا عنهم».³

¹ - تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون، ص21.

² - شعبان يوسف: أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د- ط)، 2014، ص27.

³ - نوال بن صالح: هواجس البلاغة في أدب المحنة، مجلة المخبر، العدد13، 2017، جامعة بسكرة- الجزائر ص03.

كما رأى الأديب والروائي "شعبان حسونة" « أن أدب السجون هو كل ما يكتب في السجن ويهتم بقضايا السجن ويستثني الأدب العاطفي والبولييسي وغيرها حتى ولو كتبت في السجن».¹

فالسجن السبب الرئيسي الذي دفع الأدباء إلى التنفيس عن ذواتهم، ونقل أخبارهم وحالاتهم النفسية والجسدية في شكل رواية أو قصائد « ولعل أبرز مثال لظهور أدب السجون الحرب النفسية التي يتعرض لها السجن على الصعيد الداخلي والخارجي، تلك الحرب التي شنت ضده من سجانته الذي يسعى بكل الطرق إلى دفعه للشعور بالدونية و تخييس الذات والإحباط واليأس الشديد».²

عانى السجن داخل السجن باعتباره مصابا تقع عليه شتى ألوان العذاب المادية والمعنوية من احتقار للذات وحرمانها حقها الطبيعي في الحياة والعيش بسلام، فمنهم من لجأ إلى الانتحار كحل أخير، ومنهم من صبر وصمد حتى أفرج عنه، ومنهم من أفرج عنه ولكن خرج مختلا عقليا لا يفقه شيئا جراء الضغوطات النفسية والمعيشة المزرية التي أثرت فيه وفي طبيعته.

يستلزم على للسجين البقاء في السجن حتى انقضاء مدة حكمه وبالتالي فإن هدف السجانين الحرص على عدم هروبه ومنه فالسجين سيقاوم حتما، ومن أمثلة هذه المقاومة يستخدم أوراقه وقلمه لمخاطبة أهل السلطة، وإزالة الأقفال عن وجوههم وكشف أهدافهم المضمرّة تارة بالشعر الذي يبيث فيه مكبوتاته داخل قصائده، وتارة بالنثر فيكتب يوميات أو مذكرات أو روايات أو ما شابه ذلك.

امتد أدب السجن عبر العصور، نجده في الشعر على لسان الشاعر "عدي بن زيد العبادي" « هو من شعراء الحضر في الجاهلية وأحد فرسانها.

¹ - شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، (رسالة ماجستير)، جامعة بيت لحم القدس-فلسطين، 2018، ص 03.

² - المرجع نفسه، ص 04.

الفصل الثاني: أدب السجون

وقصة الشاعر مع "النعمان" تكللها الحوادث والخطوب وتبدأ بما أضعته عليه الوشاة، فكتب إليه « عزمت عليك إلا زرتني، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك ». وكان "عدي" يومئذ عند "كسرى" فاستأذنه وقدم إلى الملك الذي أمر بحبسه في سجن لا يزوره فيه أحد بعيدا عن أهله وأصحابه وصحرائه الذي ألفتُهُ فارسا حُرًا كريما...»¹.

قال "عدي بن زيد" وهو يومئذ في حبس "النعمان" في أبيات من بحر الوافر:

لِمَنْ لَيْلٌ بِذِي جُشْمٍ طَوِيلٍ
لِمَنْ قَدْ شَفَّهُ هَمٌّ دَخِيلٌ
وَمَا ظَلَمُ امْرِيٍّ فِي الْجِيدِ غُلٌّ
وَفِي السَّاقَيْنِ ذُو حَلْقٍ طَوِيلٍ
أَلَا هَبَأَتِكَ أُمَّكَ عَمْرُو بَعْدِي

أَتَقْعُدُ لَا أَفَكُّ وَلَا تَصُولُ²

أيضا نجد القرآن الكريم ضرب المثل عن الظلم بأسلوب قصصي راق حيث تم ذكر سجن مصر في "سورة يوسف" -عليه السلام- النبي الشريف الذي صد كيد النساء ومكرهن و رضي بالسجن إعراضا ورفضاً، « فدخل السجن ليس دائما للمجرمين والمنحرفين، إذ دخله صفي الله "يوسف عليه السلام" دخول السجن قد يكون بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق»³.

أكد الله -عز وجل- براءة يوسف -عليه السلام- وجعله عبرة لكافة الرجال بعده (الأمّة الإسلامية)، فهو مثال للإخلاص والشرف، فقد صان عرضه مخافة عقاب ربه فرضي بالعقاب الدنيوي بدل العقاب الأخروي الذي يتكفل به صاحب الجلالة.

¹ - حسن سليم نعيصة: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر و التوزيع، دمشق- سوريا، ط1، 1986 ص19-20.

² - ديوان عدي بن زيد العبادي، سلسلة كتب التراث، المكتبة المركزية لجامعة بغداد- حق و جم محمد جبار المعبيد، 1965، ص32.

³ - الشيخ محمود المصري: يوسف الأحلام، قصة يوسف عليه السلام، مكتبة الصفا، الأزهر - القاهرة، ط1، 2008 ص104.

« هكذا جو القصور، وجو الحكم المطلق، وجو الأوساط الأرسطوقراطية وجو الجاهلية فبعد أن رأو الآيات الناطقة ببراءة يوسف وبعد أن بلغ التبجح بامرأة العزيز أن تقيم للنسوة حفل استقبال تعرض عليهن فتاها الذي شغفها حبا... فيختار السجن على ما يؤمر به»¹.

مثال قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ سورة يوسف الآية 33.

أثبت الله براءته وبين إخلاصه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ سورة يوسف الآية 24.

بين التعذيب والمقاومة:

بما أن الصمت سلاح الأقوياء، وهو مقاومة مضمرة تُثير غضب العدو وتساؤلاته فإنه سيسعى جاهدا لكسر هذا الحاجز الذي يعيق عمله ليطلق العنان لقبضته الجائرة. « فالصمت باب من أبواب الحكمة فهو ذلك الشيء الهين اللين الذي لا يكلف الجسد والنفس تعباً ولا نصيباً، وهو عبادة من غير عناء وزينة من غير حُلِي، وهيبة من غير سلطان...»².

كذلك القرآن الكريم ذكر هذا الأخير في سورة مريم عندما أرادت مريم التصدي والصمود أمام لغو قومها، بأمر من ربها وهذه حكمة ربانية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَكَلِمَةَ وَاشْرَبِي وَوَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ سورة مريم الآية 26.

1 - الشيخ محمود المصري: يوسف الأحلام، قصة يوسف عليه السلام، ص158.

2 - شعبان يوسف: أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص40.

الفصل الثاني: أدب السجون

أيضا واقعنا العربي يصف حالة الصمود والمقاومة وأبرز مثال على ذلك الثورة الجزائرية أبطالها دافعوا عنها بالنفس والنفيس، دفعوا أرواحهم مقابل رفع راية الحرية وبقاء الجزائر حرة طليقة.

« فمذ بداية الثورة كانت السلطات الفرنسية تلجأ لتغطية عجزها إلى تصرفات غير إنسانية وغير قانونية حتى في إطار قوانينها الداخلية، متجاهلة القانون الدولي لحقوق الإنسان فكانت تقوم باختطاف المواطنين، وتعذيبهم وقتلهم وإخفاء جثاتهم، زيادة على الاتلافات التي تلحقها بالمساكن وهدمها وإحراقها...»¹

استعمل العدو الأساليب المادية والمعنوية لعرقلة مسيرة الثورة وتدمير كيائها حيث ألقَ بالشعب أضرارا بشرية تراوحت بين القتل والجرح.

« فلقد بذل الإستعمار كل ما في وسعه لخنق الثورة والقضاء عليها بقوة السلاح، لكنه لم يتمكن من ذلك وعليه فإنه لجأ بعد الإستقلال إلى أساليب التشويه والتزييف والتحريف للقضاء عليها»².

أراد الاستعمار طمس الهوية والقضاء على الجنسية وفرض الأمية عن طريق سياسة التجهيل، وغلق المدارس، وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وجعلها لغة رسمية إضافة إلى أشكال التعذيب المختلفة « فقد كتب الجنرال مونيكا تحت عنوان رسائل جندي: يصف فيها بعض الجرائم التي كان يعترف بها الجنود الفرنسيين.

فقال: « لقد قطعت رأسه ويده اليسرى، ثم وضعت الرأس في طرف الرمح، وعلقت اليد في البندقية، وسرت بها إلى المعسكر... قتل الرجال من سن الخامسة عشر فما فوق، الإستيلاء على جميع الناس والأطفال ونفيهم...»³.

1 - زهير احدان: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، مؤسسة إحدان للنشر والتوزيع، القبة، ط1، 2007، ص41.

2 - محمد العربي الزبيبي: الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1984، ص16.

3 - احمد محمد عاشور اكس: صفحات تاريخية خالدة، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ط1، 2009، ص142.

الفصل الثاني: أدب السجون

ومع كل هاته الأشكال المُقززة التي يندى لها الجبين، استطاعت الجزائر أن تتحرر من العبودية والسيطرة وتظفر بالنصر وهذا حالنا اليوم، أحرار ندينُ لرجال ونساء وهبوا أجسادهم وأرواحهم فدائنا.

والأدهى والأمرُ أن لنا شقيقة لازالت تعاني ما عانتها الجزائر، فبالرغم من قساوة الإستعمار إلا أننا استطعنا تجاوز المحنة، أمّا فلسطين « عرفت استيطاننا لا نظير له في التاريخ، إذ هو إبتلاع بآتم معنى الكلمة، إبتلاع للأرض وطرد شعب بأكمله من أرضه ودياره... فالصهيونية تعمل ليلا نهارا على تصفية الشعب الفلسطيني ودمجه في كيانها، و إبتلاعها شيئا فشيئا حتى يأتي الوقت الذي لا يذكر فيه الناس هذه القضية مثلما لا يذكرون قضية الهنود الحمر إلا في مناسبات عابرة»¹.

1 - عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، ص08.

السبب الجوهرى لظهور أدب السجون:

1- السبب السياسى:

جُل كتابات الأديب حول الحرية والدعوة إلى الديمقراطية وهذا أمر يستفز السلطة ويلهب نيرانها إذ يستخدم الكاتب أوراقه وقلمه فتصبح بمثابة وحي له ومرجع للناسك. أمّا السلطة فتعتبرها ثورة ضدها، ورمًا صوبها فتحاول رفضها ومنعها وإقامة حد لها.

« ويقع على المثقف عبء تمثيل العامة في مقاومة أشكال هذه السلطة جميعا، لا يدفعه إلا ما يؤمن به من قيم ومبادئ إنسانية عامة، لا حزبية ضيقة أو فئوية متعصبة، أو مذهبية متجمدة...»¹

فإذا تعمّد المثقف مس السلطة بقلمه فستعاقبه حتما، وسيكون عقابه السجن لا محالة فهو الناطق باسم الحرية وراية مجتمعه وقوته.

« ذلك أن المفكر هو فاعل فكري بالدرجة الأولى بمعنى أنه يسهم في تغيير العالم بخلقه عالما للفكر، ويُقلب الأولويات بقدر ما يجترح منها للتفكير، ويغير واقع السياسات بقدر ما يبتدع ممارسة فكرية جديدة، أو يبتدع سياسة فكرية جديدة ومغايرة»².

2- سلطة المثقف:

« لا يتوقف المثقف عن إعلان استقلالته عن الدولة وأجهزتها، أو عن السلطة وإغراءاتها، فهو يتعامله مع نفسه كمسؤول عن القيم والحرىات، يعتبر أنه يؤدي مهمة

1 - ادوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر و تق محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002، ص11.

2 - علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط3، 2004، ص21.

بالوقوف في صف المعارضة، أو باستعمال سلاح النقد لتعرية ما تمارسه الدول والأنظمة والسلطات من أشكال التفاوت و الإستغلال»¹.

ذلك أن المثقف جزء لا يتجزأ من المجتمع فهو يتأثر به ويؤثر فيه ويجب على المثقف أن يتعامل بمصداقية ولا يكون هدفه التكسب ولا أهداف مادية يتخفى وراءها، ويظهر ولاءه بدلا من إستقلاليته « فإن المثقفين الحقيقيين هم الذين لا يتمثل جوهر نشاطهم في محاولة تحقيق أهداف عملية أي جميع الذين ينشدون المتعة في ممارسة أحد الفنون، أو العلوم، أو التأمّلات الميتافيزيقية »².

3- وهم الحرية:

« و أعني بهذا الوهم إعتقاد المثقف أن بإمكانه تحرير المجتمعات والشعوب من أشكال التبعية و الهيمنة، أو من شروط التخلف والفقر وقد شكل هذا الوهم عائقا أعاق المثقف عن الإنتاج الفكري بقدر ما منعه عن المعرفة بالإنسان و المجتمع و السياسة ...»³.

مهما حاول المثقف إطلاق العنان لقلمه صوب السياسة أو الأنظمة فلن ينجو من العوائق والمصائب التي ستلاحقه بكتاباتهِ المتمثلة في الدفاع عن الحريات الشخصية والاجتماعية.

1 - علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص56.

2 - المرجع نفسه، ص35.

3 - المرجع نفسه، ص99-100.

أهم المشاهير داخل السجون بسبب السياسة:

كان السجن حليف لذوي العقول الراجحة، والأفكار النيرة للحد من إبداعها و فكرها « فمن أقدم من أشتهر من المسجونين باحتمال المحنة سقراط الفيلسوف اليوناني الذي نُجَّ في أعماق السجن له فيه أقوال رائعة ... لما عرض عليه تلاميذه المساعدة ليفر من السجن أبي وفضل تجرع السم والموت ومن أقواله يخاطبهم « أرشدوني إلى مكان لا موت فيه فأفر اليه»¹.

« ولما كتب" محمد بك فريد المصري المتوفى أخيراً، مقدمة حماسية لكتاب (وطنيتي) حكم عليه بالسجن نصف سنة، وفي السنة التالية خطب منتقدا أعمال الحكومة، فسافر إلى الأستانه وحكم عليه غيابيا لمدة سنة مع الأشغال الشاقة»².

« الشعراء الصعاليك يمكن إعتبارهم في عداد المساجين، ذلك أنهم من شذاذ العرب الذين خُلِعوا من قبائلهم، وأشهد الشيوخ العرب على أنفسهم بخلعهم إياهم، فأبعدوا وأفردوا و حُرِّموا أهلهم وعشيرتهم ... و أمسوا منفيين في سجن كبير»³.

« تعتبر الصعلكة نمطا من أنماط العيش، مارسته فئة من الناس في العصر الجاهلي و العصر الإسلامي، مما أدى بفئة من شعراءهم إلى السجن ... فإن الأغلبية منهم كانت نفوسهم تنطوي على شر عظيم إذ كانوا لصوصا و قطاع طرق»⁴.

لم يقتصر السجن على الشعراء فقط بل تعدى إلى الأدباء والمفكرين وإلى الفئة المتصوفة الذين خالفت دياناتهم ديانة السلطة الحاكمة فمثلا:"الحلاج" « الذي تعرض إلى

1 - سليمان بن صالح الخراشي: المشاهير والسجون، دار ابن الأثر الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 2003 ص20.

2 - المرجع نفسه، ص88.

3 - واضح الصمد : السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995، ص101.

4 - المرجع نفسه، ص169.

السجن والتعذيب القاسي و تقطيع الأوصال، وهز الرأس ثم الحرق لاحقا، لا لشيء إلا لأنه كان يتبنى آراء وأفكار ووجهات نظر مخالفة للآخرين، ومغايرة لما هو سائد ومألوف في حينه»¹.

كذلك "ابن المقفع" كتاباته قادتة للسجن والتعذيب « فما إن وقع ابن المقفع بين يدي سفيان المهلبى حتى قتله بطريقة وحشية، بعد أن قطع أوصاله عضوا عضوا »².
أيضا نجد الداعية "يوسف القرضاوي" حين « وظف شعر في أحد الأمرين: وصف حال المسلمين و قد نال منهم الضعف النفسي، وصف حاله و قد نال منه المرض والسجن»³.

سلامة الجسد عند السجين أمر مفروغ منه، حيث أنه يعاني ويصاب ويقف على رجليه مجددا بهدف المقاومة ومن أجل غد أفضل وروح طيبة طاهرة لم يمسهها سوء.
« يحدث الإعتقال الطويل قدرا كبيرا من التخريب الجسدي والمعنوي في ذات المعتقل، وقد عرف تاريخ البشرية عشرات الملايين من الناس الذين دخلوا السجن، وعشرات الآلاف الذين كتبوا إرتساماتهم عن هذه التجربة »⁴.

كما كان الشعر في مختلف العصور أحد وسائل التعبير عن حال السجناء، كان النثر الوسيلة الأخرى للكشف عن هذه المعاناة، عمد أدباء السجون وصف المأساة في قالب قصصي كرسالة للقارئ يبيث فيها شكواه، ومن بين هذه المؤلفات نجد الرواية السياسية أنموذجا يُحتذى به، فهي شكل من أشكال المقاومة ضد العدو الذي مارس شتى ألوان

1 - عدنان حسين احمد: أدب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق (دراسة نقدية تطبيقية)، دار الحكمة لندن، ص41.

2 - المرجع نفسه، ص52.

3 - ناصري علاوة: استدعاء الشخصيات التاريخية، التواصل في اللغات و الثقافة والأدب (نونية يوسف القرضاوي) العدد29، ديسمبر2011، ص127.

4 - نوال بن صالح: هواجس البلاغة في أدب المحنة، ص06.

الفصل الثاني: أدب السجون

العذاب في أشنع الصور فاتخذت الرواية طريقها إلى هذه السجون وصفا وهذه بعض النماذج:

- تلك العتمة الباهرة: "الظاهر بن جلون".
- بيت الموتى: "فيدور دوستوفسكي".
- مذكرات محكوم عليه بالإعدام: "فيكتور هوجو".
- شرق المتوسط: "عبد الرحمان منيف".
- يا صاحبي السجن: "أيمن العتوم".
- مذكراتي في سجون النساء: "نوال السعداوي".
- رواية فرج: "لرضوى عاشور".
- حيونة الإنسان: "لممدوح عدوان".
- يسمعون حسيبها: للكاتب "أيمن العتوم".
- رواية ترممات: - الزنزانة رقم 10: للكاتب "أحمد المرزوقي".
- رواية خمس دقائق وحبس: تسع سنوات في سجون سورية: للكاتبة "هبة الدباغ".
- رواية القوقعة: "لمصطفى خليفة".
- شرف: "لصنع الله إبراهيم".
- إعجام "لسنان انطون".
- القضبان لا تصنع سجنا: لجبار "عبود آل مهدور".

الثقافة والسجن:

« تأتي القضية الثقافية لتشكل عنصرا رئيسيا في شعر السجون في الأدب العربي الحديث ذلك أنها تدخل في ثنايا القضايا كلها لتكون جوهرية وتتغلغل في النفس والعقل والإدراك ومجمل الوجود الإنساني لتصبح معادلا رئيسا للحياة... ولهذا الظاهرة الثقافية علاقة

الفصل الثاني: أدب السجون

وثيقة بتطور المجتمع العربي قديمه وحديثه والباحث في هذا الأمر يجد أنها عبّرت عبر الزمان عن حالات متشابهة ناتجة عن العقاب الذي ينزل بالمعارضين لنوبي السلطان»¹.

¹ - سالم المعوش: شعر السجون في الألب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2003

موضوعات أدب السجون:

انحصرت مواضيع أدب السجون بين التعذيب والمعاناة والاضطهاد، وسفك الدماء ومختلف أصناف الألم والمصاعب التي أثرت سلباً على عقل وجسد المصاب. « فالعقوبة عندما تكون تعذيبية، لا تقع عشوائية وكتلة واحدة على الجسم، إنها محسوبة وفقاً لقواعد مفصلة: عدد من جلادات السوط، كَوِيّ بالحديد الأحمر، طول النزع فوق المحرقة أو فوق الدولاب وتقرر المحكمة إمكانية الخنق في الحال للمحكوم بدل من تركه يموت».¹

أصل مشروعية العقوبة:

« يُسْتَدَلُّ لِأَصْلِ مَشْرُوعِيَّتِهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى "﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة المائدة الآية 33.

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -... لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».²

فالسجين بسبب النوبات الهستيرية يكاد يفقد عقله « فإن معدل انتشار الاضطرابات العقلية بين السجناء عال للغاية، - فيبلغ على الأقل خمسة أضعاف معدل انتشارها بين عامة الناس. ومعدل الانتشار هو مقياس يستخدمه علماء الأوبئة لتحديد عدد حالات الإصابة بمرض معين والمقارنة بينها».³

1 - ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، ص 42.

2 - أحسن أبو غدة: أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ص 21.

3 - تيري كوبرز: السجون في غياهب، ص 43.

يصف السجن الحالة المزرية، ورداءة الطعام، والإصابات التي نادرا ما تعالج والجروح النفسية والجسدية التي تجعل السجن يتمنى الموت ليخرج عن السيطرة التي يعيشها، و ليتحرر من قيود العبودية.

العنف والسياسة:

« العنف وجه من وجوه السياسة وما أكثره في شعر السجون العربي، وهو اختيار من الحاكم والمحكوم، الأول يرى أن من حقه لاستيعاب الأمن، وتنظيم الشؤون أن يلجأ إلى العقاب للمذنبين، ولكن شعراء السجون رأوا في هذا العقاب انحرافا استعمله الحاكم من غير حق والشعب يرى أن من حقه أن تؤمن مستلزماته كلها»¹.

تضاربت الآراء وتداخلت الرؤى بين السجنين بإعتباره فريسة السجان، والشعب بإعتباره مظلوما، ويرى أن حقه منتهك من قبل السلطة الحاكمة المقصرة أمامه وأمام واجباتها إتجاهه كي يؤدي حقوقه على أكمل وجه، والحاكم الذي يرى أن السلطة بيده وأن المذنب سيلقى حتفه، ويجازى على فعلته، وأن لا ينجو من العقوبة. سواء أكان ملكا أو ما شابه، فلا يهم منصبه بقدر ما تهمة العدالة و الانصاف.

« وفي تاريخ العراق والعالم العربي ليس غريبا أن يتحول الجلاذ نفسه إلى ضحية سواء كان عاملا أو واليا أو أميرا، فقد زُج بالخليفة المعتز بالله في السجن وعُذب حتى مات تحت التعذيب... فحينما تشيع أجواء الدسيسة والخداع في بيت الخلافة فليس من المستبعد أن يكون الخليفة نفسه هدفا لهذا التآمر»².

لم ينجُ من العقوبة حتى الخليفة، فالجاء والمنصب يزول عندما يتعدى الخليفة عتبة السلطة ويُجرح فيها، فهي حتما ستكشر عن أنيابها، وتضع حدا فاصلا لأخطائه فإما أن

1 - سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث، ص260.

2 - عدنان حسين احمد: أدب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق، ص56.

يسجن أو يعدم أو يقتل أو يصلب، كل حسب جريمته « فالأنظمة العربية عامة هي أنها تطلب من الإنسان أن يتخلى عن قناعاته الفكرية، ويتذكر لماضيه السياسي، وأن يعلن ولاءه للسلطة بواسطة « صك البراءة» الذي يتعهد فيه عدم مزاوله نشاطه السياسي السابق وعدم اعتناق الأفكار الهدامة أو المستوردة أو المخالفة»¹.

فالإنسان رهين السلطة مادام لم يتخل عن أفكاره السياسية، فإن هو غادر المكان بسبب صعوبة العيش فيه، أو التأقلم معه فسيختطى الأمر أمّا إن بقي يواجه السلطة سواء بقلمه وأوراقه، أو عن طريق خطابات شفوية تمسها فإنه سيعرض للنفي والإبعاد، أو السجن المصاحب بشتى أشكال التعذيب الجسدية.

أمّا من الناحية النفسية والجانب الشعوري « وهو المتعلق بما يحسه المساجين من مشاعر متباينة اتجاه السجن وحالتهم فيه، بين الشعور بالمرارة والبلاء والمشقة واستبدال العز بالذل، أو انتظار الموت فيه»².

إن السجن سيُسلط الضوء في كتاباته على البعد النفسي، وأنه ذات مشردة مارس العدو تجاهها العنف والتسلط فعاقبها عقابا لاذعا أثر في الجسد على الصحة الجسمية وعلى النفس والصحة العقلية.

الرواية السياسية:

تعتبر الرواية السياسية جنسا أدبيا توثيقيا يسرد لنا الاعيب الأحزاب السياسية وجملة الممارسات الوحشية التي يتعرض لها السجن داخل السجن، فهي مهاد وسيرة ذاتية للكاتب السجن داخل المعتقلات ومعاناته، ورحلة تعذيبه من بدايتها إلى ختامها، ومعظمهم نخب ثقافية سلكوا طريقا للكتابة والتعبير عن ذواتهم وحقوقهم المسلوبة داخل الرواية.

¹ - عدنان حسين احمد: أدب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق، ص62.

² - طارق زيناوي: ظاهرة شعر السجون وتجلياتها في الأدب العربي القديم، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، رقم تسلسلي4، جوان2020، أم البواقي- الجزائر، ص255.

« يشكل مفهوم العلاقة بين الرواية والسياسة مدخلا منطقيا لقراءة السياسة في الرواية والرواية في السياسة ».¹

فالرواية تعتبر عدو السياسة اللدود فهي تكشف الأقنعة المستترة وتفضحها، يعرفها الناقد الأمريكي "ايرفينغ هاو" « الرواية التي تلعب فيها الأفكار والسياسة الدور الغالب أو التحكمي بيد أن توضيح كلمة (التحكم) ضروريا، لأن الرواية التي نتحدث عنها تظهر غلبة أفكار سياسية أو محيط سياسي».²

فأفكار المثقف تعادي أفكار أصحاب السياسة، فالساسة يسعون لتكبير المثقف والأنظمة الدكتاتورية تعتقل النخب الثقافية، كي تضرب عموديا في بنية المجتمع وتُخيفه ويُصبح تحت أقدامها لا حيلة له ولا ملجأ للفرار.

الغربة السياسية:

كثير من المثقفين (الأدباء والشعراء) من لم يتحملوا القوانين الجائرة فاضطروا للفرار والخلاص « والاعتراب السياسي وهو الرفض لتلك القوانين التي تحكم الوطن، سواء كانت القوانين داخلية أو خارجية من قبل الاستعمار الذي يسعى جاهدا إلى تغريب أفراد المجتمع عن مقومات الشخصية الأساسية».³

تمثلت القوانين الداخلية في سلطة الحكام وأسياد القبائل، والقوانين الخارجية في سلطة المستعمر المستبد كفلسطين وعدوها إسرائيل وغيرها من الدول المحتلة لحد الآن سلبوا حقوقهم وفرضوا قراراتهم التعسفية المستبدة.

¹ - علي منصور: البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2008/2007، ص54.

² - المرجع نفسه، ص66.

³ - حمزة حمادة: ثنائية السجن والغربة في ديوان (حصار السجن) لأحمد سحنون، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها العدد02، 2020/09/15، الوادي-الجزائر، ص07.

الفصل الثاني: أدب السجون

فأدب السجون لم يخص السيرة الذاتية فقط، بل نقل وقائع السجون والمعتقلات « فلا نعني بأدب الرعب أو السجون الأعمال التي يكتبها أصحابها داخل السجن فحسب، ولكننا نعني به الأدب الذي جسد صور السجن و الاغتيالات في الواقع المعيش سواء أودع صاحبه السجن أم لا»¹.

فالأدباء ليس بالضرورة دخلوا السجن يمكن أن يتأثروا بمقولات السجناء فيُحرروا كتابات بمثابة صوت الشعب وصورته، يصفون فيها أشكال المعتقلات وأسماءهم وصورهم الشنيعة.

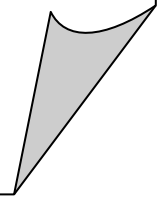
¹ - مراد عبد الرحمان مبروك: السرد الروائي و ثنائية التضاد في أدب الاغتيالات والسجون من منظور غريماس، مجلة الكلم، العدد01، (2020) جامعة قطر، ص 274.

الفصل الثالث: المكان والشخصيات في "رواية القوقعة"

المكان في "رواية القوقعة"

الشخصيات في "رواية القوقعة"

البعد النفسي في "رواية القوقعة"



المكان:

اختلف المكان في رواية القوقعة وتفرق باعتبار كاتب الرواية سجيناً ذاق مرارة العذاب مرارا وتكرارا داخل سجن صحراوي موحش تغيب فيه الإنسانية و ينعدم فيه الأمل في جو من الألم، واطمحلال السكينة والاستقرار مدة ثلاث عشرة عاما داخل قوقعته التي كان يمارس تلصصه فيها في صمت تام يشتااق إلى الكلام و التعبير عن ذاته.

الأماكن المفتوحة في رواية القوقعة:

مطار أورلي: وهو أول مكان ضم أحداث الرواية وبداية رحلة معاناة الروائي بقي ذكرى جميلة في ذهنه، كان يود أن يعود إلى بلده حيث مسقط رأسه بعد غياب دام ست سنوات وهو مفعم بالحنين والشوق لأوساط مدينته ورائحة شوارعها، وحركة سكانها حيث يقول في مطلع روايته: «جلست وسوزان في كافيتي ريا مطار أورلي بباريس ننتظر إقلاع الطائرة التي ستقلني إلى بلدي بعد غياب دام ست سنوات، حتى ربع الساعة الأخير هذا، لم تيأس سوزان من محاولة إقناعي بالبقاء في فرنسا»¹.

تكرر مطار أورلي العديد من المرات في هذه الرواية لأنه كان بمثابة مكان الوداع ظنا منه أنها ستشرق شمس السعادة، لم يكن يعلم أنه سيتجرع كؤوس التعاسة أضعافا يقول: «الكرسي المريح في مطار أورلي، سوزان، مرطبات، بيرة، المقعد الوثير في الطائرة، المضيقة التي تفيض رقة وجمالا، العصير... الشاي!!»².

وهو يمدح كل شيء أمامه يغمره بالسعادة يريد أن يتصل من قيود العبودية التي أرقت كاهله.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، دار الآداب، بيروت - لبنان، ط1، 2008، ص02.

²- المصدر نفسه، ص05.

المطعم: ذكر كاتب الرواية المطعم واستحضره لأنه كان يعيش في جو من الحرمان لا يجد حتى قوت يومه، وما يسدُّ رمقه داخل السجن مقارنة بحياة البذخ في فرنسا، سهرة واحدة تكلفه آلاف الوجبات في السجن، استولى عليه الجوع والشعور بالدونية و الاستحغار يقول: «كان لي صديق في بلدي يدرس في فرنسا يصله من أهله بداية كل شهر مبلغ من المال يكفيه حتى كفاية الشهر، هذا الصديق بدلا من أن يبرمج مصروفه ويقسمه على ثلاثين يوما كان يدعوني إلى سهرة واحدة في فندق فخم ومطعم مشهور...إتني في هذه السهرة التي أقيمها مرة في الشهر أشعر أنني إنسان، إن هؤلاء الذين يعملون في هكذا فنادق أو مطاعم مدربون جيدا كي يشعروك بأنك إنسان، "كلامهم، طريقة خدمتهم لك»¹.

فالروائي يجري مقارنة بين ماضيه السعيد وحاضره الأليم يسترجع أيام شبابه حين كان يعيش حرا طليقا يزاول دراسته بالجامعة ويدرس الإخراج السينمائي ليصبح شخصا ذا سمعة شخص معروف له مكانته ومحبيه له، أحلام عريضة طويلة يريد أن يحققها ليفيق على صراخ السجان، وشتائم رئيس المهج، كل تلك الأحلام أصبحت من الماضي ومجرد أوهام وصراع بين هواجسه وتطلعاته.

الأرياف: مكان أستمعمل للتعذيب والتتكيل صورة من صور بشاعة النظام وجور السلطة، ففي الرواية وصف لوضاعة السجان وذويه، فقد صور صاحب الرواية مشاهد يندى لها الجبين وتدمع لها العين يقول: « في الكثير من الأرياف، وقبل انتشار محركات ضخ المياه من الآبار، كانم انتشار المياه من هذه الآبار بواسطة قوة محركة هي البغال(في بعض البلاد يسمونها "الدولاب" ويسمونها في أخرى العراف. يربطون البغل إلى عمود يغطون عينيه."الآن لا أعرف لماذا يغطون عيني البغل؟ ويظل يدور...يسير ويدور حول البئر من الصباح إلى المساء، هذا الدوران العبثي بالنسبة للبغل!... ونظل ندور»².

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص42.

²- المصدر نفسه، ص43.

شبه الروائي نفسه بشخص لا حيلة له، يقف مكتوف الأيدي في وقت يجب أن يدافع عن نفسه مثله كمثل البغل يحمل عليه ويستعان به في أداء الأعمال الشاقة ولا يستطيع أن يرفض، وعندما تنتظر إليه في عينيه شيء من الإذعان والذل يقول صاحب الرواية وهو يساوي بينه وبين البغل في الوضاعة: « نسير...ندور... تحت لسع الكرابيج، منكسي الرؤوس، عيوننا مغمضة، يمسك أحدنا ذيل الآخر... وندور، فأر كتب، فأر سينما الآن...أحس أنني بغل ». ¹

الساحة: المعروف أنها فضاء للفسحة والتجوال، لكن هنا الساحة أصبحت مكانا للتنفيس عن السجناء وعن معاناتهم في ظل الممارسات الوحشية من ضرب وتعذيب وتقتيل وشتائم وصراخ، يجمع أنين السجناء وأصوات جبروت السجانين « منذ الصباح تعج الساحة بالأصوات، و الضرب والصياح والصراخ، فتح باب هجعنا وخرج الفدائيون لإدخال الطعام تحت ضرب الكرابيج والعصي، أحد الفدائيين تلقى ضربة عصا سقط على إثرها أرضا وكانت هذه آخر سقطة له، بقي في الخارج وحيدا بين أيدي عناصر الشرطة». ²

شملت الساحة السجناء والسجانين، السجناء وكأنهم فريسة السجان، يريد أن يتخلص منهم بشتى الطرق، فإن ماتوا ارتاح باله وإن لم يحصل ذلك استمر في ممارسة الضرب بمختلف أصناف الأشياء، يريد السجان أن يتحرر من صمتهم ويخرجوا عن صبرهم يستعمل ألفاظا شاتمة ليؤثر في نفسية السجين، تارة يدعوه للتفكير في الانتحار رغبة منه في إنهاء حياة الذل والمهانة، فإن لم يفعل أصيب بأزمة نفسية وواجه واقعه وتحمل مصائبه.

« جمعونا وسط الساحة في آخر الصف قريبا من المهج وضعوا العجزة، ألقى مدير السجن محاضرة نصفها شتائم، والنصف الآخر تهديد ووعيد، وقد نفذ تهديده، قال

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص43.

² - المصدر نفسه، ص55.

للمساعد: ما بدي حدا يفوت على المهج وهو ماشي، السليم منهم لازم يفوت زحف على بطنه»¹.

مدير السجن أراد أن يقضي على النفس والنفيس، وعلى كل مقومات الحياة فإن فقد السجن قواه استسلم تدريجيا ولان قلبه وضعف.

الشارع: الشارع بالنسبة للرواية الملاذ الوحيد فعندما يتغزل بمدينته يذكر شوارعها، وعندما يتذكر أصدقاءه، يتذكر الشارع الذي يجمعهم، وعندما يستحضر أيامه في فرنسا يتذكر روائح شوارعها وزقاقها يقول: « قررت الانسحاب من الحركة رغم الحصار، حملت معي خمسة مخازن ونزلت على الدرج، كل عسكري كان قدامي بعثه إلى جهنم، صرت بالشارع، ركضت وأنا أرش الطلقات يمينا وشمالا حتى أصبت واحد كلب كان بزواية الشارع وجه لي صلي رصاص، أصبت بثلاثة طلقات، واحدة في الفخذ باللحم ما صابت العظم، وواحدة مسحت رأسي مسحا فوق الأذن»².

وفي موضع آخر تم تكرار لفظة الشوارع في قوله « أتجول هائما على وجهي في الشوارع والطرقات والحدائق، حولي الكثير من الناس، لكني لا ألحظ الوجوه، أحس الناس كتلة هلامية، أو كتلة أثيرية...جزءا من الهواء المحيط بي، لا ألحظ شيئا أو وجهها... فالإنسان عادة لا يرى الهواء المحيط به»³.

الصحراء: والمعروف عن الصحراء أنها مكان دافئ جدا تقل فيه الأمطار، وصيفه حار فالرواية ذكرت السجن الصحراوي المتواجد بها، فمن البديهي أن السجناء سيمكثون في الصحراء ويتعودون على أجوائها ويتأقلمون فقد تم ذكر الصحراء في الرواية في قوله: « هذا الشتاء كان باردا جدا، نزلت أمطار غزيرة قلما تنزل في الصحراء، وخفف حدّة البرد توفر

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متصلص، ص57.

²- المصدر نفسه، ص86.

³- المصدر نفسه، ص149.

بعض الألبسة وخاصة الجوارب الصوفية مضى هذا الشتاء كما مضت الشتات الأخرى قبله، عشرة شتات و أنا جالس في نفس المكان ضمن نفس الجدران، إلى جانبي الباب الأسود ذاته...»¹.

الطبيعة: يوجد في الطبيعة أماكن تبعث في النفس البشرية الأمل والحياة، تلك النسمات العطرة، والمناظر الخلابة، فالروائي تأثر بها يصف جمالها ويقول: « استرجع التفاصيل الطازجة بينما الباص يجتاز مسرعا، مناظر أخاذة و ساحرة من الخضرة و المياه، المائة كيلومتر الأخيرة أسرني فيها جمال الطبيعة إلى درجة أنني لم أستطع أن أفكر إلا بما أرى إلى اليسار البحر الرائق بزرقته المتدرجة، وإلى اليمين الجبال الشاهقة الخضراء ».²

تغنى الروائي بالطبيعة و بمناظرها بدت له ساحرة فنتسي نفسه وهو ينظر ويتمعن في تلك المناظر.

العاصمة: مكان مسقط رأس الروائي، فبعد عودته من فرنسا متوجها إلى بلده قبض عليه في المطار فلم يتسن له أن يقبل أرض بلاده، أو أن يرى بقية عائلته، أمضى سنوات عديدة بعيدا عن وطنه ومدينته، لتكتب له حياة جديدة ويخرج من السجن ليحقق هدفه هو الإخراج السينمائي، لكنه رفض ورأى نفسه مشتتا لا يعرف سبيله، أثر السجن فيه نفسيا فكسر طموحاته، وكبل تطلعاته.

في الرواية ذكر للعاصمة في قوله: «...عند نهاية النقاش بقي هناك شخص لم يشارك في الحديث، لم أعرف رأيه، وهو المدعو فلان الفلاني، وهو طالب من العاصمة يدرس الإخراج السينمائي هنا في فرنسا».³

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص85.

²- المصدر نفسه، ص143.

³- المصدر نفسه، ص124.

تكاد تخلو الرواية من الأماكن المفتوحة لأنها بمثابة رواية سيرية تحكي سيرة ذاتية للروائي، فقد ركز على وصف السجن، وأساليب التعذيب داخله، وبما أن السجن مكان مغلق فكل ما يحيط به سيكون مغلقا، غال الروائي ومجدّ حياته داخل السجن، فصب معاناته وآلامه وآماله داخل "رواية القوقعة"، نقل حرفيا كل صور البشاعة والظلم الذي أصابه داخل الزنزانة الموحشة.

الأماكن المغلقة في الرواية:

حفلت الرواية بالأماكن المغلقة لأن الروائي وصف حياته داخل السجن، وركز عليها تناسي حياته خارج السجن لينقل معاناته، وما شهدهه للسامع.

السجن الصحراوي: وهو المكان الذي عانى فيه الروائي، ورأى فيه أصناف العذاب يقول: « ففي السجن الصحراوي لا يوجد أقلام ولا أوراق للكتابة، في هذا السجن الضخم الذي يحتوي على سبع ساحات إضافة إلى الساحة صفر، وعلى سبعة وثلاثين مهجعا وعلى العديد من المهاجع الجديدة غير المرقمة والغرف والزنازين الفرنسية (السيلول) في الساحة الخامسة»¹.

قام الروائي بعملية إحصائية للمهاجع التي ضمها السجن الصحراوي فلم يخل من الغرف، يضاف إلى ذلك الزنازين، فقد اشتمل على الزنازين و المهاجع في آن واحد، وعلى كم هائل من المسجونين ومعظمهم أصحاب الشهادات، فمنهم من شارك في الأنشطة السياسية ورُج به في السجن، ومنهم من نقل إليه ظلما وعدوانا.

الغرفة: عانى السجن طوال ثلاث عشرة عاما فكل مرة ينقل إلى غرفة مظلمة، في بادئ الأمر كان السجناء يساندونه ويقفون إلى جانبه عندما يفرط من الألم يواسونه، لكن عند

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص02.

علمهم أنه ملحد مسيحي فرّ منه معظم السجناء، وأصبحوا ينظرون إليه نظرة إزدراء لأنهم كانوا مسلمين ويعتبرونه جاسوسا للدولة.

يقول: « ثلاثة أيام قضيتها في تلك الغرفة سمعت أن بعضهم سابقا ولاحقا قضى فيها شهورا عديدة، وفي بعض الحالات كان العدد يزيد على عددنا خلال هذه الأيام تعرفت على الغرفة جيدا»¹.

تكررت لفظة الغرفة في الرواية لأنها تنوعت فالروائي لم يظل في غرفة واحدة فكل مرة ينتقل إلى غرفة منعزلة يقول « مرة أخرى قادونا بين غرفتين، باب حديدي صغير، أصغر من الباب الأول،" لما الأبواب تصغر كلما تقدمنا؟؟" ومن هذا الباب ولجنا إلى ساحة كبيرة إنها الساحة الأولى، ساحة مفروشة بالإسفلت، كل الطرقات والساحات مفروشة بالإسفلت الخشن»².

وفي موضع آخر تم ذكر لفظة الغرفة لكن غرفة المحكمة أين يحاسب السجن ويجازى أمام القاضي والمحكمة الجائرة في قوله: « تبدأ حفلة التعذيب أمام غرفة المحكمة يبدأ الضرب والصراخ الأمر الذي يُشوش على هيئة المحكمة يتوقف العمل، تشرب هيئة المحكمة القهوة العربية، بعد قليل يهدأ كل شيء، ويدخل الشرطة والسجين معهم يترنح:

شو...لسانوا ميبس راسوا!

لا سيدي أعترف بكل شيء.

إعدام طالعه لبرة»³.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص 09.

² - المصدر نفسه، ص 16.

³ - المصدر نفسه، ص 49.

القوقعة: مارس الروائي تلصصه داخل قوقعته كانت ملجأه الوحيد للمراقبة في صمت ساعدته في التسجيل الذهني، عمل الروائي على كتابة روايته في ذهنه لأنه كان في سجن صحراوي، لا أوراق فيه ولا أقلام، وعندما خرج نقل كل ما شاهده وكتبه على أوراق.

« القواقع تقدم أمثلة لا حصر لها للأسطح الحزونية، حيث الخطوط التي تصل الحلقات الحزونية المتعاقبة، والتي تقوم فوق هذه الأسطح، ذات ثنيات لولبية ¹».

كانت قوقعة الروائي غرفته، فالقوقعة عند الحيوان جسم صلب يحمي لحمه، فالأمر نفسه عند الروائي، غرفته جسم يحميه بضع ساعات من السجان. يقول: «رغم مرور كل هذه السنوات بقيت قابعا في قوقعتي أتلصص على الداخل و الخارج، داخل المهجع و خارجه ولكن مع مرور الأيام قلّ إهتمامي بكثير من الأشياء لمعرفتي التامة بها ²».

و في موضع آخر كرّر الروائي لفظة القوقعة في قوله: « أقبع في قوقعتي طوال هذه السنوات أحاول أن أراقب و أفسر وأسجل كل ما يحدث أمامي ضمن هذا التجمع الإنساني رصدت الكثير من الأمور و فسرتها وسجلتها ³».

مرت سنوات للروائي في السجن و كل عام يظن أنه سيفرج عنه، ويعرفون أنه مظلوم ويرد إليه حقه، لكن عبثا ظن أنه الشخص الخطأ، لكن هم يريدونه هو بالذات كي ينالوا منه و يحرموناه المشاركة في النشاط السياسي مرة أخرى .

المرحاض: و هو مكان لقضاء الحاجة، ففي السجن عادة ما يستعمل للعقاب، يأمر السجين بغسله و تنظيفه ليعفى عنه، ويعود إلى زنزانتة « موقعي قريب من رئيس المهجع، سألته

¹ - غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط6، 2006، ص111.

² - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص82.

³ - المصدر نفسه، ص98.

فداني على المرحاض" إذا في الغرفة مرحاض ! "، اضطررت للانتظار أكثر من ساعة
مرحاض واحد، حنفية ماء واحدة، و ستة و ثمانون شخصا¹.

فالمرحاض وسيلة أخرى من وسائل التعذيب، ففي السجن تقل المرحاض لتعذيب
السجين وليذوق ألم الانتظار، فيضطر إلى قضاء حاجته في هدامه من صعوبة الانتظار
الطويل، لأنه يدوم ساعات وعدد الأشخاص هائل، الجميع ينتظر دخول المرحاض، فبعضهم
سيقضي حاجته و بعضهم يهرب من التعذيب، و من شتائم السجناء فبدخلهم له، يدخلون
عالم الهيستيريا يُخمنون في مستقبلهم والعجز الذي آلو إليه في صحتهم، في مستقبلهم، في
عائلتهم العديد من الهواجس.

المهجع: مكان ظلمة السجن وبوتقته، أصل المعاناة منه تبدأ رحلة الألم وشراسة سجانه
ومعاملته القاسية، ففي هذه الرواية تعددت المهاجع والسجن الصحراوي احتوى على سبعة
وثلاثين مهجعا، يقول صاحب الرواية: « خلفي مهجع كبير كتب على بابه (المهجع 5-6)
تخرج من جانب الباب بالوعة " صرف صحي" على وجه الأرض، تسيل في هذه البالوعة
مياه سوداء قذرة². ».

وفي موضع آخر « و كان قد دخل إلى هذا المهجع من دفعتنا ثلاثة، واحد مات بعد
يومين، أنا صحتُ بعد ستة أيام، أما الثالث فقد بقي شهرين يتأرجح بين الموت
والحياة³. ».

الحمام: وسيلة للطهارة والتخلص من الشوائب العالقة على الأجساد كالدماء و الكدمات
البارزة على الأجساد، ورائحة العرق الإنساني و شتى أنواع القذارة « الحمام إجباري للجميع
إلا الذين لا يستطيعون الحركة، خاصة و قد كتب على بابه إن النظافة من الإيمان ذهب

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص10.

²- المصدر نفسه، ص17.

³- المصدر نفسه، ص27.

المهجع إلى الحمام مرتين خلال فترة الشهر التي بقيت فيها لا أستطيع الحركة، يخلعون كل ثيابهم يبقون فقط بالسراويل الداخلية»¹.

المحكمة: المعروف أن المحكمة مكان الجزاء وفرض العقوبات، ففي الرواية المحكمة لم تكن عادلة قط، فهي تستند في رأيها إلى أصحاب المهاجع فما يقوله أصحاب المهاجع هو رأيها وعليه تصدر حكمها، يقول الروائي: « المحكمة تناديهم بالأسماء، من يذاع اسمه يقفز ويصبح حاضرا، وفي أقل من ثانية يجب أن يكون أمام هيئة المحكمة ... وفي أقل من دقيقة تتم محاكمته!! ... وفي أقل من ثانية أخرى عليه أن يعود إلى مكانه وحليته...»².

الزنزانة: تأخذ لفظة الزنزانة معان عدة، تارة يسمونها السجن، وتارة المهجع، و تارة أخرى يلقبونها بالزنزانة، وهي مكان تواجد المسجونين.

« أحلم ... أن أعيش ولو ليوم واحد فقط في زنزانة انفرادية في صمت مطيق، لا ضجيج لا نظرات عدا، لا نظرات احتقار، وأنام خلاله نوما عميقا .

أحلم ... أن أستحم و لو لمرة واحدة فقط في حمام السوق محاطا بالبخار، والمياه الساخنة المتدفقة، و المكيس والمدلك»³.

القبو: سراديب تحت الأرض عادة ما يوضع فيه المعتقلون، ففي الرواية قوله: « جذبني المرافقان، هذه المرة بعنف ظاهر، ممرات وأدراج، كم يبدو البناء صغيرا من الخارج، بينما هو بكل هذا الإتساع من الداخل، خلال سيرنا تصلني أصوات صراخ إنساني واستغاثات كلما تقدمنا أكثر تزداد هذه الأصوات ارتفاعا ووضوحا نزلنا -على ما أعتقد - إلى القبو فتح أحد مرافقي الباب، رأيت مصدر الصراخ و الاستغاثة»⁴.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص28.

²- المصدر نفسه، ص101.

³- المصدر نفسه، ص74.

⁴- المصدر نفسه، ص04.

استعان السجان على القبو في تعذيب المسجونين لا صراخ هناك يسمع، ولا استغاثة تتجهم، سوى أصوات الجلد و الكراييج اللاذعة.

البيت: هو مكان المبيت والمنزل « البيت هو ركننا في العالم إنه كما قيل مرارا كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى، وإذا طالعنا بألفة فيبدو البائس بيت جميل ». ¹

وقد ذكرت لفظة البيت في رواية القوقعة وسُلط عليها الضوء، فبدا ذلك جليا في قوله: « دخلت الحمام في منزلنا و قمت بتطبيق ما تعلمته من رفاقي، كنت أصاب بالإغماء لذة و خوفا ودهشة، ولكن بعد مضي دقائق قليلة تلبسني إحساس بالإثم، إحساس بالتلوث فقدت طهارتي و نقائي إلى الأبد ». ²

فرع المخابرات: مكان رئيس المهجع وأنداده حيث يتم توبيخ السجناء بالأقوال و الأفعال يحط من كرامتهم يهينونهم و يعذبونهم وهذا واضح في روايتنا بقوله: « أخذوني إلى فرع المخابرات، لم يضمدا جروحي، ابتدؤوا التحقيق فورا، رفضت الإجابة عن أي سؤال، إذا لم يتم إسعافي إلى المستشفى، قال لي ضابط التحقيق وهو يبتسم: تكرم شواربك وذقك... هلق راح نسعفك ! ». ³

ظن أفراد التحقيق أن المتهم جاسوس وأنه يخفي حقيقته ولا يريد أن يعترف وهو يراوغهم يريد حريته، وسلامة صحته، يريد أن ينجو بعقله وجسده من قبضة العدو الجائر.

المطبخ: مثله مثل البيت مكان مغلق يتم فيه طهي الطعام وإعداده، و في الرواية المطبخ كذلك يقصده الروائي للشرب والسكر يقول: « لم أخلع ثيابي كعادتي حين أدخل، أحضرت لتر عرق من المطبخ و جلست في غرفتي أشرب وأدخن... استيقضت لينا، وقفت بثياب

1- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص36.

2- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متصلص، ص64.

3- المصدر نفسه، ص86.

النوم قبالتني تتفرس في وجهي، قالت: شو القصة... عمو؟ وين كنت؟ و ليش هلق عم تشرب عرق؟!»¹.

الفنادق: مكان يقصده الناس للمبيت، والنزل فقد ذكر في روايتنا في قوله: « ذهب في الموعد المحدد، ذهبنا جميعا إلى المقبرة، رأيت بعض الوجوه التي أعرفها من السجن عدت في النهاية إلى أحد الفنادق المظلة على البحر مقرا قضاء الليلة فيه »².

الطائرة: وسيلة نقل المسافرين عبر المسافات بدأ ذكرها في الرواية جليا في قوله: « وقفت على سلم الطائرة قليلا أتملى أبنية المطار، أنظر إلى الأضواء البعيدة، أضواء مدينتي إنها لحظة رائعة »³.

كانت هذه آخر لحظة توديع فرنسا و العودة إلى الوطن الذي سيجد فيه الروائي مفاجأة، تُحول مسيرته إلى جحيم حيث يقبض عليه في المطار بتهمة لا يعيها حتى.

دولاب السيارة: « بس إبراهيم ... كافي، أتركه، طالعه من الدولاب، وخذه لعند الرائد اسمعه يتكلم بالهاتف مع الرائد، فكرت، جاء الآن دوري !!؟ فعلا سمعت صوت سماعة الهاتف تعاد إلى مكانها، صاح المحتقن: ولك أيوب أيوب. - نعم سيدي - تعال شوف هذا الزبون، أحس بأيوب خلفي، دخله عالذولاب ... بالله بسرعة»⁴.

لعب الدولاب دورا هاما في الرواية استعمله رئيس المهجع في وضع أغراضه عادة ما يوضع المسجونون في الدولاب أيضا كعقاب لهم.

الممر: عندما قاد السجان السجين مر بممرات عديدة وأدراج سجون رعب، سجون سوريا في بادئ الأمر ثم نقل إلى سجن تدمر سجن صحراوي تكثر فيه المهاجع و السجناء يقل فيه

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متصلص، ص153.

²- المصدر نفسه، ص155.

³- المصدر نفسه، ص03.

⁴- المصدر نفسه، ص05.

الطعام، وتكثر فيه أساليب الاضطهاد و التتكيل و الضرب، فالتعذيب يكون ثلاث مرات في اليوم وقت الأكل يعذب ووقت التنفس يخيل في البال بعد الأكل هناك راحة يتنفس فيها السجين في الساحة يتفسح لكن السجين المسكين يجلد في ذلك الوقت حتى تجهد نفسه ووقت النوم يُعَلِّم تعني هذه اللفظة يسجل اسمه ليفيق على صوت السياط والكرابيج من طرف السجان، وقد بدى ذكر الممرات في الرواية واضحا في قوله: «**جذبني المرافقان، هذه المرة بعنف ظاهر، ممرات وأدراج، كما يبدو البناء صغيرا من الخارج، بينما هو بكل هذا الاتساع من الداخل، خلال سيرنا تصلني أصوات صراخ إنساني واستغاثات**»¹.

نقل الممر إلى أسماع السجن أصوات السجناء طالبين الإستغاثة والمناجاة من واقع مرير ذاقه حاملي الشهادة وحتى الذين يعملون في الدولة وأسلاكها أمثال الشرطة.

المبنى: أول لحظة للسجين قاده أفراد الحكومة إلى مبنى لا يعرف حتى ماذا فعل، أعطوه تقريرا بأنه تلفظ بألفاظ معادية ضد رئيس الدولة، اتهموه بالجوسسة و بالعداء، فكيف لشخص ملحد مسيحي أن يكون ضمن جماعة إسلامية أعلن إلحاده في أول لحظة، لكن لم يكثر له ولم يعيروه اهتماما، السجناء عندما أخبرهم أنه مسيحي متطرف أعلنوا هروبهم وقطعوا صلتهم به، بحجة أنه مسيحي كافر لا علاقة له بالدين الإسلامي مع أن السجن يُرفض فيه الصلاة رفضا تاما، ومن منهم لُمح يصلي عقابه الموت، يقول الروائي في هذا: «**ذلك التقرير قادني إلى هذا المبنى الذي يتوسط العاصمة قريبا، هذا المبنى الذي أعرفه جيدا فلطالما مررت من أمامه، كنت حينها متأثر بالغموض الذي يلفه، وبالحراسة الشديدة حوله**»².

كانت الغرفة داخل المبنى تعج برائحة الأرجل، رائحة العرق الإنساني ورائحة الأرض التي لم تنظف لمدة طويلة، عذب السجنين داخل المبنى وخارجه فيقول: «**يسحبوننا خارج**

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص 03.

²- المصدر نفسه، ص 04.

البناء، أرى أربع سيارات ذات أقفاص معدنية، السجناء يسمون هذه السيارات "بسيارات اللحمية" قد تكون كذلك لأنها تشبه السيارات التي يوزعون بها الأغنام المذبوحة من المسالخ إلى الجزارين، ولأن السجناء يصطفون بداخلها كما تصطف الذبائح داخل سيارات اللحمية الحقيقية»¹.

استمر التعذيب حتى بالسيارات لأنها وسيلة نقل للسجناء من مهجع إلى مهجع عيونهم مغلقة و أيديهم مكبلية لا يرون ولا يفقهون شيئاً ولا يتذكرون، كان السجناء يحفظون ويعتمدون على الكتابة الذهنية، فمنهم الروائي حوّل ذهنه إلى شريط تسجيل، وعندما خرج من السجن بث هذه المعاناة في يوميات متلصص، فالسجناء كان يحفظون عدد السجناء الآخرين في أذهانهم، كانوا يحفظون القرآن ومختلف السور.

سيارة الأمن: اعتبرت سيارة الأمن أيضاً مكاناً للسفر على طريق المطار يقول الروائي: «أنا و حقيبتني - التي لم أرها بعد ذلك - ورحلة في سيارة الأمن على طريق المطار الطويل أرقب الأضواء على جانبي الطريق، أرقب أضواء مدينتي تقترب، ألفت إلى رجل الأمن الجالس إلى جوارني، أسأله: خير إن شاء الله؟... لماذا هذه الإجراءات؟!»².

السيارة مكان مؤقت يجعل السجناء في رعب تام من مصيره والانتهاكات التي تبرم في حقه ظلماً.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص14.

² - المصدر نفسه، ص03.

الشخصيات في رواية القوقعة:

تفرقت الشخصيات داخل رواية القوقعة بين شخصيات رئيسية أدت دورا مركزيا في الرواية، تكرر اسم شخصياتها العديد من المرات وشخصيات ثانوية دورها يحضر ويغيب.

الشخصيات الرئيسية في رواية القوقعة:

سوزان: وهي حبيبة السجين الذي لم يذكر اسمه في الرواية من أصول عربية، لكن معظم عائلتها تقطن بفرنسا كانت على علاقة مع بطل الرواية، وتلاشت علاقتها بعودته إلى بلده أرادت إقناعه بالبقاء لكنه كان مصرا على العودة يقول في مستهل الرواية: «جلست و"سوزان في كافيتيريا مطار أورلي بباريس ننتظر إقلاع الطائرة التي ستقلني إلى بلدي بعد غياب دام ست سنوات حتى ربع الساعة الأخير هذا، لم تياس سوزان من محاولة إقناعي بالبقاء في فرنسا، أخذت تكرر على مسامعي نفس الحجج التي سمعتها منذ شهور عندما أعلمتها بقراري النهائي بالعودة إلى الوطن و العمل هناك»¹.

كانت لحظة وداع الروائي "سوزان" لحظة المطار أخبرها بقرار عودته الجدي، تقبلت وجهة نظره كان يريد أن يفتح باب أمله ويحقق حلمه لأنه يرى أنه مهمش في فرنسا، تلقى له إلا الفتات وبلده ستساعده وتبني له آفاقا ويصبح مخرجا سينمائيا معروفا، يقول: «ران صمت استمر بضع دقائق، سمعنا النداء، آن أوان صعود الطائرة، وقفنا، شربنا ما تبقى في كؤوسنا من بيرة دفعة واحدة، نظرت إليها متأثرا، لمحت مشروع دمعة في عينيها، ألقى بنفسها على صدري، قبلتها سريعا، " لا أطيق هكذا موقف". قلت: "أتمنى لك السعادة". أنا كذلك، أرجو أن تنتبه، حافظ على نفسك. وصعدت الطائرة»².

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص01.

²- المصدر نفسه، ص02 .

ودع بطل الرواية سوزان " بعد ألم شديد، وفراق صعب لم يكن يدري أن فرنسا كانت تحميه فبمجيئه إلى وطنه تغيرت حياته، ولم يعد يعرف مصيره، وإلى أي مدى ستطول محنته ويتم الإفراج عنه و يصبح حرا طليقا فيعود إلى مدينته سليم عقل و جسد، ففي فرنسا كان يحس نفسه غريبا يدرس فيها، يعتبر لاجئا مهمش.

بطل الرواية: لم يذكر اسم بطل الرواية داخل رواية القوقعة، أعلن ديانتته فهو شاب مسيحي ملحد من عائلة عربية سورية عاش في فرنسا ودرس الإخراج السينمائي في الجامعة بعدما أكمل دراسته، أراد العودة إلى أهله ووطنه ليحقق حلمه و يصبح مخرجا، ألقى عليه القبض في أول خطوة له في المطار بتهمة خفية، أخبروه بأنه تلفظ بكلمات معادية لرئيس الدولة داخل السجن ونقل إلى سجن صحراوي.

يقول: « قفز أحد مرافقي قفرتين، واحدة للإمام، و أخرى إلى الوراء، وإذا بشيء يوضع على عيني و يربط بمطاط خلف رأسي، ولم أعد أرى شيئا -وقفوه على الحائط -.

دفعه على ظهري، صفعة على رقبتني، يداي إلى الخلف، أسير مرغما، يرتطم رأسي بالجدار، أقف .

ارفع يديك ل فوق ...و لك كلب...

ارفعهما¹.

لم يذكر اسم بطل الرواية ربما لأنه يراه شبيهه في المعاناة، "فرواية القوقعة" عبارة عن كتاب توثيقي أو رواية سيرية لحياة الشاب مصطفى خليفة داخل سجون تدمر الصحراوية، وما عاناه في ظل حكم "الرئيس بشار الأسد" في سجون سرية بدأ بمبنى المخابرات ثم نقل إلى سجون تدمر الصحراوية، وما عاناه السجن من الضرب و فقدان الوعي، والأكل المتسخ

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص04.

فعند ذهابه لإحضار الطعام الجالّد يؤدي دوره ويتلقى السجين أصناف الجلّدات وهو حامل طعامه و قوته وبعد يكمل هناك حصة ضرب.

يقول: «اليدان مقيدتان بالقيّد الحديدي إلى الخلف، كاحل القدم مربوط بجنزير حديدي إلى كاحل سجين آخر، نسير بصعوبة، نتعثر، ممرات...أدراج...تسجل أسماؤنا ضمن لوائح»¹. و لم يحدد الروائي إسما لبطل الرواية لأن الإسم حق من حقوق الإنسان وبالتالي إذا سلب إسمه فقد فقد هويته و إنتمائه.

عانى السجين داخل السجن فلا يجد حتى الماء للاستحمام، يشرب ماء البالوعة يقول: «بس لازم نشربك...يعني نحن عرب، والعرب مشهورين بالكرم، يعني لازم نقدم ليك ضيافة...مو من مشان شي ... من شان واجبك؟!»².

« بعد لهجة الإستهزاء والسخرية صمت الإثنان قليلا، ثم إنتفض المساعد، وقال بصوت زاعق: « شافي البالوعة؟...انبطح و أشرب منها حتى ترتوي...يا الله، ويا كلب!!»³.

كان عقاب السّجان لاذعا إضافة إلى الجلاّد و لم يكتفوا بذلك أراد أن يقضوا على معدة السجين، شرب ماء البالوعة القذر العديد من المرات يقول: «الأطباء شربوا وبلعوا البالوعة، المهندسون شربوا وبلعوا البالوعة، المحامون أساتذة الجامعات...وحتى المخرج السينمائي... شربت و بلعت البالوعة ... الطعم لا يمكن وصفه!! و الغريب أنه ولا واحد من بين كل الشاربيين تقياً!!»⁴.

لا يهتم المنصب ولا الجاه ولا الرتبة داخل السجن، فالروائي ينقل لنا بشاعة أفراد السجن فلم يفرقوا بين طبيب ولا مهندس ولا محامي وأساتذة الجامعات، كلهم ذاقوا طعم

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص15.

² - المصدر نفسه، ص19.

³- المصدر نفسه، ص18.

⁴- المصدر نفسه، ص21.

المرارة، تلطخت أسماؤهم بالدماء والوسخ، عاشوا فترة كلها قذارة، حتى النظافة إنعدمت داخل السجن فالحمام يذهبون إليه مرتين خلال فترة الشهر، الطعام ثلاث وجبات في اليوم يقول: «الطعام يأتي في أوان بلاستيكية العشاء على الأغلب شربة عدس، الغذاء برغل مثلها من المرققة، كلها تكوم أمام المهجع».¹

أما بالنسبة للحلاقة فهي عملية تعذيب وليست تنظيف فهي مصاحبة بالشتائم والبصاق رغبة في النيل من السجين والحط من كرامته وكى يسلك طريقا إلى الوضاعة والمهانة، يقول: «حلاقة الذقن عملية تشريح أو حراثة للوجه مصحوبة بالبصاق والشتائم وكان بعضهم يتلذذ بافتعال السعال قبل البصق على وجه السجين كي يكون البصاق مصحوبا بالمخاط !! وتلتصق بصقته البلديات بالوجه! و يمنع السجين من مسحها».²

فلم يكتفوا بشرب ماء البالوعة، بل أجبروا السجين على ابتلاع مخاط الإنسان وهي صورة حقيرة لبشاعة العدو وحيلته، يقول: « ارفع رأسك ولا كلب، افتح ثمك لشوف. فتحت فمي، طلب مني أن أفتحه أكثر، ففتحته تنخم، تنخم ثلاث مرات ودون أن أستطيع رؤيته أحسست أن فمه قد امتلأ بالمخاط المستحلب... شعرت برأسه يقترب مني و... بصق كل ما يحتويه فمه إلى... داخل فمي».³

يحاول السجين و أفراد المهجع أن يتقيأ ليخرج العفن الذي في بطنه و ما تجرع من قبل السجان.

كان البرد عدو السجين اللدود فلا توجد حتى ملابس كافية هذا لصد البرد الذي يتسبب في المرض والمعاناة الجسدية يقول.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص26.

² - المصدر نفسه، ص25.

³ - المصدر نفسه، ص43-44.

« البرد يجمدنا، الجوع يضمننا أكثر من عشرة أشهر مرت ونحن جائعون، ربع رغيف أقسمه ثلاث أقسام أقاوم، وأقاوم الرغبة بالتهامه كله دفعة واحدة، عشرة شهور ولم يصل فيها أحد السجناء إلى الشعور بالشبع»¹.

إضافة إلى المرض فمعظم السجناء عانوا من مرض السُّل والتهاب السحايا وهذه الأمراض عدوى تنتشر بسرعة وتتفاقم، ففي الدقيقة الواحدة يتضاعف العدد أيضا، الجرب والقمل فالسجناء نقل إليهم مرض الجرب لقلة النظافة والنجاسة التي كان يعيشونها داخل مستنقع متلوث.

بعد كل هذه المعاناة النفسية والجسدية خرج من السجن وعاد إلى عائلته وذويه.

أبو رمزت: شخصية مركزية في الرواية الآمرة الناهية يقول صاحب الرواية: « التفت إلينا شخص عملاق، أبيض الشعر ذو وجه أحمر، لمحت عند قدميه شابا مقرصا معصوب العينين، قال العملاق: ... خذه لعند "أبو رمزت"»².

"أبو رمزت" فرد من أفراد أصحاب المهجع يتراأس المكتب ويصدر أقوالا يجب تنفيذها بحق السجين ويرفض عصيانه. ذبح المسلمين جميعا بحجة أننا في دولة إسلامية يقول: « بأمر من "أبو رمزت" الذي ذبح المسلمين لأننا نعيش في دولة إسلامية!!!»³.

أيوب: شخصية فعالة لها دورها في الرواية "أيوب" كان يتراأس المهجع يأمر و يرى أوامره كيف تصير واقع أمام عينيه، يأمر الجلاد والجلاد ينفذ أوامره يقول صاحب الرواية: «... يا "أيوب" ... يبدوا هالتيس عم يغشم "خالد"!! بدو يعذبنا و يعذب حاله!!»⁴.

«عادت خيزران "أيوب" تواصل عملها».

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص58.

²- المصدر نفسه، ص04.

³- المصدر نفسه، ص09.

⁴- المصدر نفسه، ص07.

كان يملك خيزران أكلت لحم السجين وثأرت منه نالت من جسده نصابها.

الرجل العملاق: كان يلاحق السجين بطل الرواية من مكان إلى مكان يصفه بأنه رجل عملاق ذو وجه محتقن لشدة احمراره وخشونة ملامحه، كان رفيق "أيوب" الذي كان يعذب السجين بخيزرانتة يقول:

« صوت الرجل ذو الوجه المحتقن ثانية:

- شو يا أيوب...صحي ولا لا

صحي...سيدي...صحي، بس ... شخ تحتو!!»¹.

مارس على السجين شتى أنواع الظلم والاستعباد، جعله يعيش في قوقعة ينظر من ثقبها خشيتهم يتلصص من مكان إلى مكان.

الجلاد: طبعه الضرب والعنفوان، نال من السجين نصيبه أضعاف في أي وقت يسمع صوت لهاته، صوت الكابل يقول: « في الخلف يستمر ما كان يجري، أسمع صوت الكابل صوت ارتطامه بالقدمين، صوت الشاب المتألم صوت لهات الجلاد، أكاد أسمع صوت نتف اللحم التي رأيتها تتطاير قبل قليل ... أصوات ... أصوات »².

ينتلذذ الجلاد ويترنم على أصوات المساجين وصراخهم يواصل جلدتهم مدة طويلة دون تعب ولا كلل فهو وسيلة من وسائل التعذيب، يعامل السجناء بقسوة وجمود تام وكأنه يمارس مهنة شريفة وعملا أجره حلال يزهد الأرواح تترامى وقعا على الأراضي ولا يرف جفنه ولا تدمع عينه، يتولى أمر جسد السجين يعمل على هدم كيانه حين يتخلص من صلابة الجسد يصبح الجسد هزيلا يفقد قواه ليعود ويكرر نفس العملية حتى يمرض السجين ويلزم الفراش حتى يموت وذلك مبتغاة، فالجلاد في الرواية يد النظام والحكومة ومعينهم .

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص06.

² - المصدر نفسه، ص05.

يقول الروائي: « مع بزوغ ضوء الفجر وسقوط آخر شخص وتدفينه من قبل الشرطة انتهت الحفلة. دخلنا المهجع ركضا على إيقاع الكرايح، ركضنا بخفة ورشاقة وكنت أظن أنني لن أستطيع النهوض عن الأرض»¹.

رئيس المهجع: وهو من يتولى أمر المهاجع، يتزأس الحراس والجلادين، هو يصدر الأوامر وهم ينفذون. يقول الروائي: « مكان رئيس المهجع إلى جانب الباب حيث يكون جاهزا دوما عند فتح الباب لمخاطبة الشرطة، وعلى الطرف الآخر من الباب وضعوا فراشي بدلا من الشخص الذي كان يحتله »².

اعتنى رئيس المهجع بأمر السجناء، فهو يأخذهم للشرطة عندما يعلمونهم (يسجلون أسماءهم) فبمناداتهم يقوم رئيس المهجع بنقلهم إليهم.

البلديات: معظمهم جنود ورجال قانون ارتكبوا جرائم في حق أنفسهم، جرائم مصيرية مست بسمعتهم فُزج بهم في السجن ولقوا حتفهم، يقول الروائي: « البلديات كلمة خاصة بالسجون هنا، هم جنود سجناء ... الفارون من الخدمة العسكرية، الجنود يرتكبون جرائم القتل الاغتصاب، السرقة، مدمنو المخدرات ... كل جنود المجرمين، حثالة الجيش، يقضون عقوبتهم في السجون العسكرية في مثل هذا السجن »³.

تعددت أنواع تعذيبهم فبعضهم يكلف بتوزيع الطعام وبعضهم يكلف بالتنظيف من أمثلة الاضطهاد الذي استفز البلديات « أن البعض منهم يحمل عصا غليظة مربوطة بها حبل منزل يصل بين طرفين حبل سميك يتدلى من العصا "الفلقة" »⁴.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متصلص، ص73.

²- المصدر نفسه، ص31.

³- المصدر نفسه، ص17.

⁴- المصدر نفسه، ص18.

الفدائيون : وهم رجال ميزتهم الشهامة، عادة ما يتلقون الضرب مكان الشيوخ الذين هرموا وتعبوا من الضرب وفي غالب الأحيان يتولون أمر إدخال الطعام والحرص على إحضاره « وهم صادقون في سعيهم إلى الاستشهاد وقد انقذت الفرق الفدائية حياة الكثير وعملهم يتسم بالإخلاص والاندفاع الشديدين النابعين عن إيمان عميق، بعضهم كان يقوم بعمله بتواضع شديد وصمت، وعلى بعضهم الآخر كنت ألاحظ نبرة زهو وتشوق في حديثه¹ .

رجال إسلاميون تفننوا في إخلاصهم وحبهم للخير والتعاون وهبوا أرواحهم فداء للسجناء الضعفاء و للتخفيف من حده الآمهم ومن الجو الذي يحيط بهم.

الرقيب: وهو شخص منحط يردد عبارات الشتائم التي تذلل السجين وتحط من كرامته فمرة يردد لفظة " ابن الشرموطة " ولفظة " ياكّر " .

« يجلس الرقيب على الكتلة الإسمنتية ذاتها، يضع رجلا على رجلا، يصيح وهو ينظر برؤوس منكسة وعيون مغمضة ...

-جيبولي ها البغل ... السمين

يأتون برجل أربعيني بدين، يعرف الرقيب منه اسمه واسم مدينته كما أمضى في السجن ... وتفاصيل أخرى ثم يسأله:

-أنت متزوج ولا أعزب؟

-متزوج سيدي

-أنت بتعرف شو عم تساوي زوجتك هلق ... ولا أنا بقلك أكيد عم تشرمط أنت صار لك ثلاث سنين في السجن ... وهي كل يوم مع واحد جديد² .

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص27.

²- المصدر نفسه، ص39.

يعمل "الرقيب" على استفزاز السجناء وهو يعلم يقينا أن قلوبهم تأبى ذلك لكنهم صامتين متحملين، وهو يريد أن يُعبروا عن خلجات أنفسهم وأن لا يكظموا غيظهم كي يضاعف لهم العذاب والضربات ومختلف أساليب الإهانة.

الدكتور زاهي: تولى أمر السجناء والعناية بهم أثناء مرضهم عندما انتشر مرض الجرب و التهاب السحايا، فعمل على التخفيف من حده المرض بوصف لهم الأدوية وعزلهم كي يخفف من جبروت المرض وانتشاره، يقول السجين: « تابع الدكتور زاهي العناية بي وبالمرضى الآخرين جروحي كلها على وشك الشفاء عدا الجرح على وجه القدم اليسرى ونتيجة لأن عظام مشط القدم قد باتت بعد انكشاط الجلد عنها فقد خشي "الدكتور زاهي" من مضاعفات أخرى، حضر مرة ومعه شخص آخر وعرف به على أنه طبيب أخصائي جلدية»¹.

كان "الدكتور زاهي" دكتورا نبيلاً يعمل بشرف يؤدي مهمته على وجه المطلوب، كان موجود في المكان الخطأ مع مجموعة أشرار لا ديانة لهم وأشخاص متعصبية لا ثقافة لهم متشددين منعدمي الأخلاق لا شفقة ولا تعب ولا كلل يعتبرون أنفسهم يؤدون الخدمة على حساب عبد ضعيف وجسد أنهك من شدة الجلد والضرب والماء البارد فمعظم السجناء عانوا أمراضاً مزمنة، صعب على الدكاترة إيجاد حلول لها.

الشرطة العسكرية: حاكم السجن هو الأمر النهائي هنا يقتل ما يشاء، يعذب ما يشاء، هو القاضي وهو الحاكم حتى يتأثر البقية بهذه الممارسات العنيفة يريد أن يقضي على نفسية السجن و يسحقها لا على جسده لأن الجسد ملكه و قد نال منه.

¹ - ص مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص 28.

« الشرطة و الرقباء و المساعد جميعا يرتدون المعاطف العسكرية و قد لفوا رؤوسهم باللفحات الصوفية، المساعد يتمشى جيئة وذهابا أمام الصف، الشرطة يضبطون الاصطفاة ...وقف باستعداد ولا ... نزل راسك ...»¹.

لم يكتفِ رجال الشرطة بالإهانات فقط، بل مارسوا شتى أنواع الاضطهاد و التتكيل على السجين الضعيف « مثلا ذلك اليوم صرف الرقباء و عناصر الشرطة جزءا مهما من وقتهم لاصطياد الفئران و الصراصير و السحالي و إجبار السجناء على ابتلاعها، كلهم قاموا بهذا العمل و لكن ابتكاره " إبداعه" عائد إلى أول رقيب قام بهذا العمل»².

صورة مقززة للمعاملات الوحشية القاسية من اعتداء بدني و عنف على الصحة الجسدية و النفسية و العقوبات اللإنسانية أو المهنية، أفعال يندى لها الجبين عومل بها السجن و أهين باسم الدولة و إحلال العدل.

أبو حسين: شخصية محورية في الرواية، عمل مع الدكاترة أمثال "الدكتور سمير" و"أبو عبد الله"، يقول الروائي: « كسر "أبو حسين" الصمت بعد دقائق قليلة، نادى أحد جماعة المورس وطلب منه الاتصال مع المهجع الواحد والعشرين و الاستفسار على الزيارة، كيف أتت، هل فُتحت الزيارات للجميع، أم هي بالواسطة، أم بالرشوة... كيف تعامل الشرطة مع الأمر هل أحضر الأهل أغراض... الخ؟»³.

الدكتور سمير: أعان السجناء ووقف إلى جانبهم أثناء محنتهم و عندما عانوا من المرض ساعدهم في إحضار الدواء و التكلم بصوتهم وعلى لسانهم ...

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص72.

²- المصدر نفسه، ص82.

³- المصدر نفسه، ص75.

«الدكتور سمير" ومن خلال جولاته الطويلة داخل السجن استطاع أن يحقق بعض الأمور التي لم يحققها غيره، عرف تقسيمات السجن و توزع ساحاته و مهاجعه، أصبح لديه كم هائل من المعلومات عن نزلاء كل مهجع، ينقل الأخبار بين المهاجع، فقد يكون هناك مجموعة من الإخوة من عائلة واحدة أعتقلوا سوية ولم يعد أحدهم يعرف عن الآخر شيئا»¹.

السجان: شخص استفزازي لازم السجن طيلة فترة السجن، رفيقه من لحظة استيقاظه الصباح الباكر حتى وقت نومه و خلوده إلى الزنزانة.

« ثم ألتفت إلي السجان، أمره :

سكر... ولا سكر الباب

و قبل أن ينغلق السجان الباب، التفت "أبو رامي" إلى الناس في المهجع، وبصوت عال قال... ها عندكم واحد مسيحي... انشطوا معه... أهذوه للدين الحنيف... بس شاطرين تقتل و تخربوا بها البلد!!»².

يكثر حضور السجان في الروايات السياسية، خاصة ويأخذ دورا محوريا نجد حضوره من بداية الرواية لأنها تتحدث عن السجن، والسجن يضم السجان في المرتبة الأولى و تجاربه الشخصية مع السجون.

الرئيس: كان الرئيس بوابة رعب للسجناء، تمنع الصلاة داخل السجن وأي سجين يرى يصلي يتلقى التعذيب حتى الموت، يُعذب السجنين باسم الإسلام، أنهم بطل الرواية بانتمائه للإخوة المسلمين مع أنه أعلن إحداه أكثر من مرة هذا دليل على جور الرئيس وحيلته.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص63.

² - المصدر نفسه، ص12.

يقول السجين: « يمسك الوحش بيده عصا غليظة ينهال بها ضربا على الجثة، الشرطة يراقبونه ضاحكين، ومع كل ضربة عصا على الجثة يصرخ بصوت عال: ...عاش الرئيس المفدى ... بالروح بالدم نفديك يا رئيسي... و ضربة بالعصا على الجثة ولك يا كلب بتشتغل ضد الرئيس ... وضربة بالعصا... رئيسنا أحسن رئيس ».1

تكررت لفظة الرئيس على مسامع السجناء قصد ترعيبهم و اخافتهم باسم الدولة و النظام الفاسد، في كل يوم يجب أن يموت على الأقل سجينان فداء للرئيس ولروحه و دمه. سجن "تدمر" مثال لبشاعة سجون "الأسد" و معاملته القاسية لأفراد الأحزاب السياسية.

نسيم: صديق حميمي لبطل الرواية يتبادل معه أطراف الحديث و يقضي معه ساعات طويلة لا يمل ولا يكل منه، يشتاق إليه بمجرد ذهابه إلى المرحاض أو إلى المغسل لأداء فريضة الصلاة، رغم اختلاف أديانهما إلا أنهما انسجما و أصبح صديقين. نسيم يقول أنه تغير ابتعد عن معالم دينه، لكنه يقابلهم بالرفض يرى أنهم منافقين، لكن بطل الرواية ملحد تفكيره غريب مثلي أحب صديقه حبا عاطفيا أكثر من صديق، أراد أن يصارحه بالأمر وخاف من ردة فعل نسيم مع أنه يبادل نفس الشعور في نظر أراد الإبقاء على الأمر سرا مخافة خسارة نسيم الصديق الفذ يقول: « ما أشعر به اتجاه نسيم من عواطف ملتبهة لم أشعر به أبدا حيال أية امرأة عرفتها في حياتي! ...نجلس سويا نتحدث ... نلعب ... نأكل، طوال ساعات الاستيقاظ، ينام إلى جانبي و نتابع أحاديث بصوت خافت ونحن مستلقيان نحن الاثنين مع بعضنا البعض طوال اليوم، و رغم ذلك أظل مشتاقا إليه وبشدة! يغادرني أوقات قليلة كان يذهب إلى المرحاض أو يذهب للاغتسال ... تبقى عيوني معلقة على أبواب المغسل الحجري إلى أن يعود و من هناك يبادلني الابتسام فأرتاح ».2

1- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص94.

2- المصدر نفسه، ص99.

غير السجن من بنية السجين، لقد أصبح يريد أن يأتي الرجال شهوة من دون النساء ربما ذلك راجع إلى فكرة إحداه، أم من سنوات السجن التي قضاها في عزلة بعيدا عن جنس المرأة.

أبو محمد: رجل دولة سابقا كان يعمل ضابط، له سمعته و كرامته، يقول السجين: «أبو محمد لا يمكن أن يسمح ل"لقمة أكل" أن تذله... وإذا كان هناك من تصرف أو سيتصرف بدناءة، فهذا الشخص لن يكون "أبو محمد"! الموت ولا الذل. "أبو محمد" كان ضابطا سابقا وكان رجلا حقيقيا، منذ فترة و عندما حدثت المشاحنات في المهجع بسبب توزيع الطعام القليل أصلا، أحس أنه قد مس من قبل شخص ما، بقي على إثرها سبعة أيام لم يتناول خلالها ولا ذرة طعام، سبعة أيام بدون طعام بعد أشهر من الجوع»¹

مدح "بطل الرواية" "أبو محمد" لأنه رأى فيه خصالا رفيعة، رجل شهيم يأبى الوضاعة والإهانات، رجل حرا و ذا موقف وعزيمة يدافع عن نفسه و يخاف عليها القسوة والجور.

الأب وأولاده: هي عائلة داخل السجن تتكون من أب و ثلاثة أولاد حاول الأولاد الثلاثة الفرار، وبالفعل هربوا وتركوا الأب، نقل إلى سجن صحراوي، عُدب لكي يخبر عن مكان أولاده لكن في كل مرة يكون جوابه الرفض، حتى عثروا على أولاده و جمعوهم في سجن واحد حتى أتى يوم محاكمتهم و خُير الأب بين أولاده أيهم سيعيش ومن يُفضله، يريدون إعدامهم وأجبروا والدهم أن يختار واحدا ليعيش و البقية سيموتون.

« شوف يا حجي...شو تتوقع يكون حكمهم!.

يا سيدي رحمة الله واسعة وانتوا دائما بتحكموا بالعدل!!.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص56.

- طيب اسمعني ... إنتوا أربعة أشخاص عائلة واحدة... ونحن حكمنا على ثلاثة منكم بالإعدام ... و هلق أنت بدك تختار مين لازم ينعدم ومين الواحد يا اللي لازم يعيش¹.

اختار الوالد ابنه الصغير لأن ولديه الآخرين متزوجان و بلغ بهما العمر، لكن ولده الأصغر لا يزال في ريعان شبابه أعزب. يقول: « يا سيدي أنا زلمة كبير أكلت عمري و "سعد" و "سعيد" متجوزين من زمان و خلفوا أولاد، ومن خلف ماما، أما "أسعد" بعدوا صغير ومانو متجوز وبعدوا بزهره شباب ...والزهره حرام تقطف...موهيبك يا سيدي!»².

أعدم الأولاد الثلاثة أمام عيني والدهم الذي ما بيده حيلة، غير أنه أراد أن يبكيهم، ستهطل دموعه وبدل أن تنزل دموع سائلة، ستنزل دما من قهره على أولاده فلذات كبده.

« أبكي... أبكي يا حجي أبكي ... وَكَلَّ اللهُ

يا أبو حسين ...يا أبو حسين ... شو بدي أبكي؟... دموع ولا دم؟.

- اللهُ يصبرك... ويصبرنا.. إنا لله و إن إليه راجعونالله أعطى ...الله أخذ³.

أحرقوا قلب الأب على أولاده و ما لغاية من إعدامهم سوى تضرع الأب لله عز و جل ومناجاته، سيشتكيهم ربه ليشفى غليله ولهيب النار التي أشعلوها داخله.

رجال الأمن: هم الذين أخفروا السجين البطل وقادوه إلى السجن بتهمة كاذبة، تقرير مزيف انجر عنه سجنه طيلة ثلاثة عشر عاما مصاحب بالتعذيب و شتى ألوان التنكيل والاضطهاد والشتم المختلفة بعد غياب دام ست سنوات بعيدا عن الوطن و العائلة وسجنوه بسبب مجهول، يقول الروائي: « اثنان من رجال الأمن استلما جواز السفر وبلطف مبالغ فيه طلبا مني مرافقتهما أنا وحقيبتي التي لم أرها بعد ذلك ورحلة في سيارة الأمن عن طريق

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص102.

²- المصدر نفسه، ص103.

³- المصدر نفسه، ص105.

المطار الطويل أرقب الأضواء على جانبي الطريق، أرقب أضواء مدينتي ألتفت إلى رجل الأمن الجالس إلى جوارى أسأله خيرا إن شاء الله ... لماذا هذه الإجراءات يسأل سبابته على تقييد لا ينطق بأي حرف، يطلب مني أسكت¹.

الكبيس: رجل من رجال الأمن يعمل مع رئيس المهجع يمارس جوره على البطل المظلوم رجل ضخم يدوس على السجناء بقدميه، يرفسهم رفسا.

يقول "بطل الرواية": « هنا صاح "رئيس المهجع": يا الله... يا كبيس... اجا شغلك!

قام الرجل الضخم الثاني بهدوء . يبدو مصارعا ذهب إلى أول رجل مستلق عند الحائط وبهدوء وضع قدميه بين الحائط وبين الرجل المستلقي استند بظهره إلى الحائط، ثم أخذ يدفع المستلقي بباطن قدميه، دفع أكثر، انضغط المستلقون قليلا، أصبح هناك مسافة تتسع لرجل آخر، نادى على واحد من المتيقنين: يا الله ... انزل هون ينزل الرجل مستلقي على جنبه بين أقدام الكبيس و الرجل الأول².

حرم الكبيس السجناء لذة النوم فبمجرد استيقاظهم يجدونه أمامهم، و من شدة الهلع يلبون أوامره تحت ظل معاناة كبيرة و ظلم و عنفوان ضال. كم تحمل السجناء و إلى أي مدى ستطول محنتهم و متى تنتهي كان الأمر أشبه بصائم ينتظر آذان المغرب وهو يعلم يقينا أنه آت لا محالة، هكذا هم صابرون ينتظرون وقت الإفراج عنهم، وقت إعلان ورفع راية حريتهم.

العميد: كان ضمن أحد السجناء، سُجن ظلما وعدوانا.

يقول الروائي: « مشى المساعد مبتعدا، وقف بجوار البالوعة، صاحي بالشرطة ..

- جيبولي سيادة العميد!!

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص03.

²- المصدر نفسه، ص09.

انقض أكثر من عشرة عناصر على العميد و بلحظات كان أمام المساعد!

- كيفك سيادة العميد ؟.

- الحمد لله ...الذي لا يحمد على مكروه سواه .

- شو سيادة العميد ... مائك عطشان.

- لا ... شكرا¹.

رغم منصب العميد إلا أنه لم ينفعه داخل السجن، فقد تعرض للتعذيب وكافة وسائل القذارة، في حين أجبر على شرب ماء البالوعة، يروي الكاتب قائلاً: « سحب عناصر الشرطة العميد، واحد منهم التفت إلى المساعد و قال:

- يا سيدي ... هذا غايب عن الوعي، شلون بدو يشرب!؟!

- حظوا راسو بالبالوعة، بيصحى ... بعدين شربوه.

وضعوا رأس العميد بمياه البالوعة، ولكنه لم يصح².

يا لا حقارة أفراد السجن، شخص غائب عن الوعي من شدة الضرب وهم يريدون تعذيبه أيضا رغبة منهم في القضاء على روحه و سحقها سحقا، فوسيلة التعذيب وسيلة حقيرة كيف لإنسان كرمه الله بالعقل ورزقه من الطيبات، وفضله على كثير من الخلق، أن يشرب ماء قذرا كماء البالوعة. الإسلام دين يسر وليس دين عسر، يعذبون السجناء باسم الإسلام و هذه الأمور تتنافى مع الدين الحنيف لأنه لا يحدث على العنف وعلى الظلم بتاتا فوسائل التعذيب والإكراه في حد ذاتها جناية يعاقب عليها، يجب احترام كرامة السجن والرفق به، ففي السجن يعامل مثله مثل الحيوان.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص18.

²- المصدر نفسه، ص19.

ساوى أفراد السجن بين المسجون ظلما والمسجون بجناية وجرم ولم يفرقوا بتاتا بينه وبين جنسه اللطيف، و بين خشونة الحيوان وقدرة تحمله للضرب والمهانة.

المساعد: « على إيقاع صرخات المساعد " دبيكة " فوق الملازم كانت ضربات الشرطة تزداد عنفا و شراسة، وصرخات واستغاثات الملازم تخفت شيئا فشيئا.

بعد قليل تصدأ الملازم الأول إلى جانب العميد!! لا أدري حتى الآن ماذا حل به؟ هل مات ام لا؟ ... هل كان لدى إدارة السجن أوامر بقتل الضباط أثناء الاستقبال أو التشرية»¹.

لم يشفق المساعد لحظة على السجناء بل تمادى إلى أن زهق أرواحهم و لفظوا أنفاسهم الأخيرة، يسعد بموتهم و برؤية نهايتهم أمام عينيه، يرفض رفضا تاما سماع كلمة شهيد داخل السجن، فهم لا يعتبرونهم شهيدا وإنما يرونه حثالة تخلصوا منها أشقتهم وأخذت من وقتهم لكن السجناء بعضهم يجن لهول المنظر، وبعضهم يصيح هذا شهيد و البعض الآخر يترحم على روحه.

شقيق الرئيس: كان مكلفا بقتل السجناء والمشى بينهم بسعادة تامة، ينقل "بطل الرواية" أخبارهم قائلا: « كان في هذا السجن قرابة الألف سجين إسلامي وفي يوم حزيرانى قانط حطت طائرات الهيليكوبتر محطة بالجنود الذين يقودهم شقيق الرئيس، مدججين بالأسلحة نزلوا بالطائرات في ساحات السجن، دخلوا على السجناء في مهاجمهم و بالرشاشات حصروهم حصرا!! جمعوا قسما منهم في الساحات و قضا عليهم جميعا»².

قضى شقيق الرئيس على معظم السجناء لأنه كان يعلم يقينا أنه ستأتي دفعات أخرى تعوض النقص الذي يشوب السجن والسجناء الذين فقدوا أرواحهم، قلوب متحجرة فكيف لرجل ذي إنسانية أن يفعل هذه الفعلة الشنيعة، كانت إدارة السجن بمثابة القضاء والحكومة فهي تصدر الأوامر وتنمخ العقوبات، هكذا مات السجناء من تلقاء أنفسهم دون إعدام أو

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص20.

² - المصدر نفسه، ص29.

حتى فرض عقوبات مثيلة لجرائمهم، فلا أحد يحاسبهم ولا يقف في وجوههم، حتى السجناء أنفسهم يعانون في صمت ولا يستطيعون بث أصواتهم و إبداء آراءهم.

الشخصيات الثانوية في الرواية:

لعبت الشخصيات الثانوية في رواية القوقعة دورا نسبيا تغيب و تحضر أو تغيب من أول وهلة لحضورها، لم يكن حضورها بالكاد حضورا محوريا تقوم عليه الرواية أو تُبنى عليه كما في الشخصيات الرئيسية.

ميسون: كانت خطيبة أحد السجناء ومن شدة تعلقه بها يراها في منامه ولا يريد حتى أن يستفيق من ذلك اللحم لشدة شوقه لها وحبها المخلص، يقول الروائي: على لسان البطل «يقبض على قدمي العلوية بكلتا يديه، وقد وضع أصبع قدمي الكبير في فمه و أخذ يمصه!! لكزته ثم لكزته، تراخت يداه، سحب رأسه! تابعت الكرم، استيقظ الشاب تماما، نظر إلي بغضب وإستنكار !! و بحدة قال:

ليش فيقتني؟! مانك شايف شو عم تساوي؟

يلعن سماك !! قطعت عليا أحلى منام!!

شو كنت شايف منام؟

نعم ... كنا أنا و ميسوم ... وباللحظة يا اللي مسكتها ... و بلشا ... ب " حضرتك

فيقتني!!

وين هي ميسيون ... دخلك؟

ميسون؟ ميسون خطيبي

عفوا لا تؤاخذني ... ارجع نام ... لكن لا تفريط بين إصبع رجلي و شفايف ميسون»¹.

السجن كان هاجسا بالنسبة للسجين، فهذا الرجل يحلم بخطيبته سبيله الوحيد لرؤيتها والتمتع في ملامحها سوى الخيال أو الحلم حله بين واقع مرير وآلام تمحوا سطر الامال وتُغَيَّبُ صورتها، يعيش في دوامة ملؤها دماء مسفوكة ولحم منتوف. هل كان مقدر له أن يقضي بقية عمره داخل زنزانة سوداء مروعة و تحت بطش السَّجان المخيف يريد و بشدة أن يكسر قيود العبودية و يتحرر، مقاومة صامته ضد العدو كانت سلاحه الوحيد للفرار من النوبات الهستيرية التي كانت تصيبه، مقاومة سلبية لا نتيجة لها تكاد تزيد من معاناة السجين لكنه يواصل و يواصل من أجل حرية مطلقة، حرية تبعده عن أضواء السجن ووحشيته.

أخ بطل الرواية: عندما خرج بطل الرواية من السجن احتضنته عائلته بصدر رحب، كانت أمه قد توفيت ولم يبق له سوى خاله و أخيه يسند إليهم كتفه بعد معاناة طويلة وألم دام سنوات عديدة ليس بالسهل نسيان ولا تخطي الأمر كان الأمر أشبه بكابوس يخيم على مخيلته. تجربة ذاتية مخيفة يصعب نسيانها يقول بطل الرواية : « دخلت ... واحتاج الأمر إلى عدة ثوان من التحديق حتى استطعت تبيين ملامح أخي الأكبر!... هو أيضا لم يعرفني لأول وهلة مضى تسعة عشر عاما منذ أن رأيته آخر مرة.

صرخت باسمه وأنا أتقدم نحوه...احتضنني وأجهشنا بالبكاء، تعانقتا ونحن نبكي أكثر من دقيقة، رأسي على كتف أخي، أبكي لوعة...اشتياقا ألما وفرحا...»².

ارتى "بطل الرواية" في أحضان أخيه يبكيه شوقا وحسرة، سنين مضت دون رؤيته ولا حتى السهر معه والوقوف إلى جانبه وقت شدته،احتضنه وكأنه يقول له: اشتقت إلى أيام الصبا إلى الأيام التي تجمعنا سويا دموعه تنهمر تحمل أشعة الأمل والفرح بقلائه.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص13.

²- المصدر نفسه، ص134.

لينا: إبنة أخ "بطل الرواية" التي بالكاد استطاع أن يعرفها و يتعرف على ملامحها، اندهش ولبت مليا عند رؤيتها.

- « قومي انزلي من حضن عمك...كسرتي رجليه...شو ظانة حالك صغيرة لي! جلست "لينا" إلى جانبي مبقية يدي بين يديها، تعصر "لينا" وتقبلها بينما أخي يحاول أن يطمئنني...وأنّ خالي يبذل جهودا جبارة لإخراجي من السجن، وأنهم ورائي ولم يتركوني أبدا وافهمني أن خروجي من السجن مرتبط بموافقة رئيس الجمهورية !!...»¹.

فرح "بطل الرواية" لرؤية ابنة أخيه فرحا شديدا وهولا يصدق أنّه وسط عائلته وتخلص من بطش الظالمين ومعاملتهم القاسية الوحشية. تجهش "لينا" بالبكاء عند رؤيته يسأل أخاه من هذه، يضحك ويقول هذه إبنة أخيك عمها لا يعرفها، أفراد السجن أشخاص فاقدو الإنسانية حرما لينا من عمها سنوات عديدة ظلما و قسوة.

خال بطل الرواية: كان معين "بطل الرواية" الذي بدوره ساعده على خروجه من السجن، من دوامة اليأس ومن معاناته التي كانت كفيّلة أن يخسر صحته النفسية قبل صحته الجسدية تكلم مع رئيس الجمهورية وسعى وراء الأمر وتم وبفضله الإفراج عنه وهو بجانبه يتكلم معه الآن. يقول "بطل الرواية": « منذ فترة حضر خالي الوزير - وهو يتردد لعندنا بشكل دوري- و بعد الكثير من الأحاديث المعتادة التفت إليّ فجأة و قال:

- أما آن الأوان ... تفكر بمستقبلك ؟

- و جمدت !!

- المستقبل !! وهل لإنسان في مثل سني ووضعي مستقيل !؟»².

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص135.

²- المصدر نفسه، ص147.

كان بطل الرواية يعيش حالة من القنوط لهول ما رآه داخل السجن وما سمعه، الأمر الجيد أنه لم يُجن ولم تُطارده كوابيس تؤرق مسيرته، فقد الأمل في مستقبله.

أراد بطل الرواية أن يعيش راحة البال فقدّها لسنوات طويلة، يريد أن يريح عقله من التفكير لأنه طيلة فترة السجن عقله في حركة دائمة، تفكير مستمر في مستقبله و إلى ما ستؤول إليه حالته.

موظف الإذاعة: رجل أراد أن يعقد صفقة بينه و بين "بطل الرواية" لما رآه من إمكانيات وقدرات فيه، فهو درس الإخراج السينمائي في الجامعة (جامعة فرنسا) كان يجيد اللغة الفرنسية، يريد أن يصبح مُخرجا معروفا، لكن السجن حطم آماله و جعل منه شخصا عاجزا قابله بالرفض فورا، إقترح عليه أمر العمل معه يقول: « بعد مضي حوالي أسبوعين طلبني على الهاتف موظف كبير في الإذاعة و التلفزيون، عرّفني على نفسه وطلب مني الحضور إلى مكتبه لمناقشة سيناريو مسلسل تلفزيوني و قال:

- إذا أعجبك السيناريو فورا نوقع العقد لتخريجه، ولا تسأل عن الإمكانيات المادية فهي متوفرة و الحمد لله .

احتجت إلى الكثير من اللباقة لكي أعتذر، لكنه واصل ...

و رفضت «¹.

موسى: تم ذكر موسى في بداية الرواية ظهر في لمحة وجيزة ما إن ظهر حتى إضمحل الروائي يقول: « رجلا الأمن يحقراني، اشتدت قبضاتهما على ساعدي عندما ولجنا الباب إلى الممر الطويل في آخر الممر شاب، صاح عندما رأنا أهلين ... موسى... شو؟؟
أخضر ولا أحمر؟ كل اخرى من بعض»².

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص147.

² - المصدر نفسه، ص04.

الدكتور هشام: أحد الأطباء الذين كانوا مع "بطل الرواية" في السجن الصحراوي، خرج من السجن ولا يزال يتذكره إتصل به يقول: « أخذت السماعة وتكلمت، ذكرني بنفسه، تذكرته جيدا. أحد الأطباء الذين كانوا معنا في السجن الصحراوي، وهو من أوائل الذين إتخذوا موقفا جيدا مني، كان من الأصدقاء المقربين "نسيم" ¹.»

أخت نسيم سميرة: امرأة ضعيفة كانت تتعرض للاغتصاب و"نسيم" ما بيده حيلة، قتله الأمر قهرا فكان يفكر ليل نهار إلى أن قضى التفكير على نفسيته فانهكه وأثقل عاتقه. مات "نسيم" وتخلص من كافة الهواجس التي كانت تلاحقه يقول الروائي: « لا... ما بدني أسرق... أنا ما بسرقت... "نسيم" مانه حرامي... بس في واحد كمرجي سرق مني بنتي وأختي... اغتصب بنت أهلي... وكل يوم يغتصب أختي سميرة! ... وهلك يريد طردي من البيت!... راح أقتل هذا الكمرجي وكل كمرجي بهذا البلد... راح أقتل كل الكلاب المجرمين... راح أقتل يلي عم يغتصبوا كل يوم أمي وأمك... أختي وأختك... بنتي وبنتك» ².

فقد "بطل الرواية" الإحساس لقد غير السجن من بنية جسمه، لم يعد يكثرث لأمر "نسيم" الذي كان صديقه الحميم، لقد مات أمام عينيه وقدم روحه هدية له لكن الأمر لم يؤثر فيه حتى درجة الصفر، وهذا كله راجع إلى مدى القهر والعنفوان الذي أثار في شخصه يقول: « لم يتم "هشام" كلامه، سمعنا صرخة من سطح البناية، رأينا "نسيم" يلوح بيده وينادي اسمي... وبأعلى صوته فهمنا منه ما معناه، إنه يقدم موته هدية لي !! على الرصيف... أمام مدخل البناية، تحول "نسيم" إلى كتلة من الدماء واللحم المهروس والعظام المحطمة ³.»

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص150.

²- المصدر نفسه، ص152.

³- المصدر نفسه، ص153.

مجموعة البراعم: « في المهجع مجموعة تسمى (تحببا) مجموعة البراعم وهي مؤلفة من ثمانية أشخاص أو ثمانية عمالقة... أجساد ضخمة، طوال القامة، عضلات مفتولة، وهم يشكلون مجموعة طعام واحدة وبالطبع ينالون حصة مضاعفة من الطعام.

بعد أن يحدد الطبيب الضرس الواجب قلعه يأتي دور مجموعة البراعم يربط أحدهم الضرس الخرب بالخيط المطبين بينما برعم آخر يثبت رأس المريض بكلتا يديه»¹.

تمثل مجموعة البراعم القوة المهيمنة داخل السجن، يطبقون أوامر "رئيس السجن" خاصة من حُكم في حقه بالإعدام، بفضل قوتهم الهائلة التي يتمتعون بها وكأنهم وحوش آدمية، يهابهم المسجونون ويخافونهم بمجرد رؤيتهم لهم.

أحد أساتذة بطل الرواية: « أتذكر قولاً لأحد أساتذتي المرموقين: إن الحدث مهما كان صغيراً فإن المخرج الجيد يستطيع أن يصنع منه فيلماً جيداً، الحدث هو الهيكل العظمي وعلى المخرج اكساؤه باللحم والثياب»².

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص107.

²- المصدر نفسه، ص11.

البعد النفسي في الرواية:

معظم الروايات السياسية روايات تفضح النظام السياسي وتكشف أقنعتة الخفية وأساليبه القمعية عن طريق الأقلام والأوراق، فالجانب النفسي للروائي جانب مظلم من حياته يعكس مأساته ومعاناته حيث يشمل ميولاته ورغباته وأهوائه.

يرى " فرويد" « أن الحياة النفسية حافلة بالمواقف الشاذة الجنسية والاندفاعات الغامضة الأسباب، والأهداف ومن شأن الكاتب سير أغوار هذه الأنماط السلوكية الصادرة من شخصيات ليست مريضة بالمفهوم العياري، لكنها شخصيات متميزة بخصوصيات معينة.

و فضلا عن ذلك المضامين النفسية للعمل الأدبي، لا نطمس عناصره الفنية والجمالية لكونها من المصادر الأساسية التي تمدّه بالجمال الفني»¹.

فالحياة النفسية للروائي أمر ذاتي يتحكم فيه ويسيره حيث تُمثل الأنا له وتتكلم باسمه تظهر في أفعاله و سلوكاته وخير مثال على ذلك في "روايتنا القوقعة" التي تعد مثالا للجانب النفسي للشخصية، البطل فيها سجين عانى وقاسى مرارة السجن من شتى وسائل التعذيب التي أثرت نفسيا في شخصيته حتى بدت عليه حالات الضعف من مرض وانهيار داخلي ومقاومة سلبية وغيرها.

« ينقل الروائي مشهد مرحلة العنف إلى مستوى اللغة، ويحوّله إلى لوحة تشكيلية لا تتعدد فيها الألوان، أساسها التضاد بين الأسود والأبيض، أسود الواقفين في المربع بدسائسهم ومناوراتهم، وسرقاتهم بلا استثناء، كل الطبقة السياسية محل اتهام، والمربع في المقبرة مربع النظام مخصص إمّا لدفن موتى السلطة، أو لوقوف أحيائها أثناء جنازة أحدهم.

¹- نجيب محمد مسباغي: التحليل النفسي للرواية، نجيب محفوظ أنموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،(د- ط)، 2009، ص16.

يصفه الروائي بالمرعب الوهمي، أو المهزوز يرى عظمتهم وهمية، قناع يختفي خلفه الفساد¹.

"بطل الرواية" كان من بين ضحايا النظام الفاسد، يقف مكبل الأيدي لمدة ثلاثة عشر عاما في ظل حكم سلطوي، مارس مختلف ألوان وأصناف التعذيب باسم العدالة والإسلام فلم يسلم السجين من التعذيب حتى عند إحضاره الطعام له. يقول الروائي: «...وهلق... غطس أيديك بالشورية لشوف!

وخرجت اليدين من الشورية مسلوختين، وأجبره بعدها أن يحمل الجات بيديه المسلوختين إلى داخل المهجع، كل بضعة أيام يقتل واحد أو أكثر أثناء إدخال الطعام إلى المهجع². لم تقتصر المعاناة على الطعام فحسب بل استمرت طوال فترة سجن "بطل الرواية". كان يعيش في قوقعة يملؤها الخوف والرعب حتى أثناء قضاء حاجته.

يقول: « مضي أسبوع دون حوادث تذكر، وذات يوم خرجت من المرحاض وأنا أعرج أحاط بي حوالي عشرة أشخاص كلهم شباب في بداية العشرينيات من عمرهم...صرت كلمات من بين أسنان أحدهم:

- وقف ولك...يا نجس...يا كافر...هذه هي نهايتك يا كلب

تجمدت مكاني، ذهلت...لأجزاء من الثانية نظرت إلى العيون المحدقة بي، فائض من الحقد والكراهية ينفجر من هذه العيون، العزم...الإصرار
تظيف الدائرة حوالي...استسلام كلي، بل شلل بالتفكير

¹ - الشريف حبيبة: الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص169.

² - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص27.

طوال الفترة الماضية لم أكف عن الخوف من المخابرات، الخوف من الشرطة العسكرية، الخوف لدى قرعة المفتاح في باب المهجع، الخوف من الضرب والألم والموت...»¹

عاش الروائي حالة من الخوف بسبب ديانته المسيحية وكونه ملحدًا وسط جماعة من المسلمين يرونه نحيسة أمامهم، كافرًا ملحدًا يقف عائقًا أمام تعاليم الإسلام وينفي وجوده كديانة سماوية، بالرغم من أن الصلاة ممنوعة داخل السجن لكن السجناء لا يفرطون بها ولا ركعة واحدة يواظبون عليها محافظة منهم على دينهم الحنيف، يحفظون القرآن في صدورهم رغم الاضطهاد والمعاناة داخل السجن.

« إن العلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية، باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي في الأخير، وأن الأدب يكشف عن المكونات النفسية وكلاهما يفيد من الآخر، ويسهم في فهم العلاقات الناشئة بينهما منذ لحظة الإبداع، ومما لاشك فيه أن الأهم في تلك العلاقة هي الصلات الخفية بين الرغبات والدوافع اللاشعورية واللغة...»²

كانت لغة الروائي سلاحه الوحيد للتنفيس عن مكوناته و مكبوتاته الداخلية سعيا منه للتخلص من هواجسه الفتاكة التي باتت تقتله، فصلة اللغة بالجانب اللاشعوري صلة تكاملية ترتبط ارتباطًا كليًا بمدى تفاعل الروائي وحسه اللاشعوري الذي يدفعه للكتابة وإخراج ما بداخله وثبته في قالب قصصي إبداعي، فإبداع الروائي ينبع من أعماقه خاصة من أفكاره وتطلعاته ومن عواطفه الجياشة والمحيط الذي يعيش فيه ويؤثر فيه ويتأثر به، فيخلق فيه روح الكتابة والتأليف والإبداع. وهماهي "روايتنا القوقعة" كتبها "الروائي مصطفى خليفة" بعد سجنه لينقل إلى القارئ هول الموقف وبشاعة النظام وأساليب التعذيب ظلما واحتقارا، إضافة إلى

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص30.

² - محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد19، العدد (1-2)، 2003، ص21.

الأمراض المعدية، فقط أصيب السجناء بداء القمل يقول الروائي: « كل يوم بعد وجبة الإفطار يخلع الجميع ثيابهم ويبدوون تفلتيها بحثا عن القمل وأنا أيضا أمسك القملة وأهرسها بين الأصفرين، كان وجود القمل بهذه الكثافة محيرا، تساءل أحدهم بغضب:

- العمى منين عم يحي كل ها القمل؟! ... كل يوم ننظف ثيابنا منه، كل يوم نتوضأ

خمس مرات، على الأغلب نغسل كل يوم جسمنا بالماء البارد والصابون...»¹.

احتار السجناء عند وجود القمل وهم على نظافة دائمة على الأغلب، كان ماء الوضوء سيخفف منها أو الاغتسال لكن مع ذلك لم يخفف الماء من حدة هذه الآفة فانعكست سلبا على نفسية السجنين، كادت كل هذه الآفات أن تهدم بنية جسم السجنين وأصبحت له نظرة سوداوية حول العالم وما يحيط به. يقول: « تمددت، فورا غدا صباحا سيكون فطوري خمسمائة جلدة بقشاط مروحة الدبابة على قدمي! إن قدمي التي أصيبت شفيت تماما مع ندب طويل، ولكنها كانت تؤلمني دائما في أيام البرد، فألقاها أكثر من غيرها، كنت أحلم بزواج من الجوارب الصوفية! أحد أحلامي الصغيرة، ماذا سيكون مصير هذه القدم المسكينة عندما تتلقى خمسمائة جلدة! لم أستطع النوم حتى الصباح »².

غاب النوم عن عيني السجنين لشدة خوفه وهلعه المستمر كيف سيفيق على وقع الضرب المبرح والآلام المصاحبة له يفكر في مصيره، ارتبط تفكيره بحياته داخل السجن، كيف سيواجه كل هذه المعاناة والتعذيب. كان أبسط حلمه توفر بعض الجوارب لتغطية قدمه والحفاظ عليهما بعد أن تورمتا وغاب الإحساس بهما.

غال السجنين في التفكير في ما ستؤول إليه قدمه بعد عدد هائل من الجلطات المتتالية وبالرغم من بشاعة المنظر إلا أن السجنين لا يزال متمسكا بحلمه البريء، بصيص أمل يخلصه من قبضة الجلاد وجبروته، لقد كان عدوه اللدود، شُعلات من الأسى تنتاب السجنين

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص35.

²- المصدر نفسه، ص36.

وتراوده تجعله يتخبط في ظلمات السجن ووحشيته، إضافة إلى ظلمات مستقبله المجهول الذي لا يعلم منه شيئاً، يبني حياته على ماضٍ سعيد وحاضر تعيس ومستقبل مجهول.

صبر السجين صبراً فاق المعقول فرغم صلابة الجلاذ وشتى وسائل التعذيب إلا أن السجين يواصل مقاومته، يحلم بغد أفضل بحياة مخالفة لحياة البطش التي استولى عليها السجان وحرمه لذتها.

يقول: « نسير... وندور حول الساحة، مشدودي الأعصاب، نتوقع في كل لحظة صفة أو ركلة... أو كرابجا رغم ذلك ننسى أحياناً، تأخذنا الأفكار في جميع الاتجاهات نحلم بيوم لا نسمع فيه كلمة "تنفيس" يوم لا نسير لا ندور فيه، تحضر الذكريات، تتغلب على كل الشد العصبي وتحضر تداعبي وجوه الأهل والأصدقاء، المرأة بشكل خاص أمي... أختي... سوزان، تحضر كل نساء "ي"، وأحياناً قد ترسم ذكرى ما ظل ابتسامة على شفاهي»¹.

يستحضر السجين ذكرياته السعيدة مع أهله وذويه، مع أصدقائه وأحبائه، كيف كان يمضي يومه يحلم بعودة حياته البسيطة، يأمل الفرج القريب يحاول التخفيف من روعه عندما يتذكر أيامه السعيدة وكم أمضى في النعماء سنين. يواصل السجين آماله وتشجيع نفسه لمواصلة المقاومة يقول: « يجب أن لا أجن، كان هذا قراري منذ البداية رغم ذلك كنت أحس أنني على حافة الجنون، عندها كنت أغني، لكن بصمت أغني بذهني ودائماً أغان فرنسية، ولم أغني أية أغنية عربية.

لا أفتح فمي مطلقاً، لا أتلفظ بأي حرف، أجلس اليوم في مكان واحد أعادته باتجاه المغاسل والمراحيض أربع أو خمس مرات في اليوم، أتحرك في اليوم الذي يكون لدينا فيه تنفيس، أجلس... أفكر وأفكر أفكرت مدة"، هل يمكن للإنسان ما أن يوقف التفكير؟!.

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص43.

استعرضت الماضي عشرات المرات، أدق التفاصيل، تفاصيل كان لا يمكن أن أتذكرها ولو عشت عشر سنوات خارج هذا المكان، أستعيد كل ما هو سعيد ومبهج، كل ما هو جميل في الخارج»¹.

تذكر السجين ماضيه أكثر من مرة، الفرصة الوحيدة السعيدة في حياته مقابل حاضر مظلم وتعتيس، لولا صلابة السجين وقدرته الفذة على المقاومة لاتخذ طريقا نحو الجنون والهستيريا المستمرة بسبب العزلة والانفرادية داخل قضبان السجن وبين غرفة محدودة الطول لا اشراقه فيها، يغمره أنين الوجع بصورة دائمة حتى أصبح بمثابة صديق ملازم له لا يفارقه ولا يتركه لحظة من الزمن فمن جهة سجّان ظالم، ومن جهة أخرى جلاّد قاسي تتعدم فيه الرحمة لا يعرف سوى تنفيذ الأوامر بصورة رسمية لا تتخللها شفقة ولا إذعان.

كان الإسلام في "رواية القوقعة" مجرد حجة فقلوب السجّانين قاسية لا تليق حتى بيهودي لا يعرف الدين الحنيف، لم يكتفي أفراد السجن بمنع الصلاة، بل تعدى الأمر إلى كتم أصواتهم عند الإعدام كي لا يسمع كلمة "الله اكبر" ولا لفظة التشهد عند الموت، يقول الروائي: « أنا منذ أشهر مستمر بالمراقبة والتلصص على ساحة السجن عبر الثقب حفظت وجوه عناصر الشرطة كلهم شاهدت الإعدامات...ثمان مشانق كل إثنين وخميس أسمع كلام الشرطة بوضوح أحيانا، كان الناس هنا يتساءلون لماذا لم نعد نسمع صيحات "الله اكبر" لدى تنفيذ حكم الإعدام؟ الآن عرفت السر، بعد أن يخرج المحكومين بالإعدام من المهجع تغلق الشرطة الباب ويقومون بلصق أفواه المحكومين بلاصق عريض كانت صرخة "الله أكبر" من المحكومين قبل إعدامهم تشكل تحديًا للمحكمة...»².

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص47.

² - المصدر نفسه، ص59.

شاهد السجين "بطل الرواية" مشاهد الإعدام عبر قوقعته، مشاهد مفزعة ومروعة الواضح أنها تؤثر تأثيرا سلبيا على نفسيته وتعيق مقاومته، ربما يفشل لحظات حين يشاهد هذه المواقف الشنيعة.

انهارت أجساد السجناء حيث تعرضوا للأمراض المختلفة بسبب الجوع وقلة الطعام، مما أدى إلى هزلة أجسامهم وضعفها يقول في هذا الصدد الروائي: « نبه الأطباء إلى ضرورة الاعتدال بالأكل، لأنه بعد كل هذا الجوع لا يجوز للبطن أن يمتلئ كثيرا.

استمر الجوع عاما كاملا تقريبا، أسماه السجناء "سنة الجوع"، وهي سنة غيرت الناس كثيرا، وأنا أيضا تغيرت، وهذا التغيير أحسه جليا من الداخل، بعد مضي الأسابيع الأولى من سنة الجوع، أصبح الأمر عاديا، أن تكون جائعا أمر طبيعي لم يعد يستلزم الكثير من التفكير، ولكن مع تناقص وزن الجسد كله».

« يتنامى داخلي إحساس عميق بالصفاء و النقاء».¹

نمت كل هذه الأفعال القاسية في نفسية السجين حب المقاومة و مواصلة التصدي لعنف السجّانين و طغيانهم، فرغم نحافة الجسم و هزله إلا أن قلب السجين لا يزال يضخ باسم الحرية و نبذ الاستسلام، الخطر صوبهم في كل مكان لكن النفسية قد تعودت تأقلمت مع جو الاضطهاد، حالة من الصبر و برودة في الأعصاب في مقابل غضب أفراد السجن و إشعال نار قلوبهم من ردة فعل السجين و قدرته على مواكبة التعذيب و مقاومته.

كلما ضغط السجن على "بطل الرواية" (السجين) حاول أن يتخلص من قيوده عن طريق رسم أحلام وردية تتسيه مرارته و تأخذه إلى حيث النزاهة المطلقة و السعادة الأبدية لقد كان الأمر أشبه بكابوس يريد أن يفيق منه بشتى الطرق.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص64.

يقول الروائي: « البرد جارح، لبست بنطال البيجاما و فوقه بنطالي و السترة، تغطيت بالبطانيات لكن لا جدوى، قدماي مثلجتان، أنفي، أذني... لففت نفسي جيدا و غطيت رأسي، هذا البرد الصحراوي اللعين ... برد كنصل الشفري

حاولت الهرب منه إلى أحلامي، رتبت سهرة لرأس السنة، تعبت قليلا في اختيار المكان والأشخاص، أنا نجم السهرة بلا منازع، المائدة مليئة بالأطعمة و الاشرية، الموسيقى الرقص جو المرح والنكات، الثلج يتساقط في الخارج، أقف خلف زجاج النافذة، أرقب أشجار الصنوبر وقد تكلفت باللون الأبيض، الدفء داخل المنزل يحيطني ... أحس بالترف، و بنفس الوقت بالتعب...»¹.

أحاطت المأساة "ببطل الرواية" من كل جانب، فكلما حاول الفرار من معاناة تظهر معاناة أخرى أكبر منها، لكن مقاومته وصلابته كانت أقوى من كل تلك المعاناة، تفكيره ونضجه قادتاه إلى الحرية، لم ييأس لحظة في كل مرة تواجهه المصاعب ليجد مخرجا إليها أمله فاق المعقول، لقد أحس بالذعر و الخوف والرعب لكن لم يبدي ذلك و أظهر عكسه فمثلا عن جلده يتوقف عن عد الجلادات لأن ذلك حتما سيُشعره بالضعف والإهانة، حتى السنون التي قضاها داخل السجن لم يكن يعدّها، ساعده ذلك في التخطي. حفظ الكثير من تعاليم الإسلام.

يقول الروائي: « حفظت القرآن جيدا و لطالما رددت بشكل عفوي آيات وسور طويلة منه، حفظت الصلوات كلها، حتى حفظت الطائفة منها كصلاة الخوف، صلاة الجنائز، وصلاة التراويح...استمعت إلى خلافات الجماعات المختلفة حول الأحكام الشرعية، آلية تفكيرهم، ردود أفعالهم، طموحاتهم...آمالهم ... لكن هذا لم أعد أركز ذهني كثيرا، عندما أنظر من خلال القوقعة، كذلك عندما أطيل من خلال الثقب إلى خارج

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص72.

المهجع، مرأى تنفيس المهاجع الأخرى... العقوبات... تعذيب... كلمة أضحي عاديا ...
يومية»¹.

حفظ السجين الصلاة والقرآن الكريم، أخذ من المسلمين مختلف الأحكام الشرعية من خلال تلمصه داخل قوقعته ومن الثقب الذي صنعه للمراقبة والتجسس، ساعده على مضي الوقت بسرعة كبيرة دون كلل وروتين مستمر، الحياة النفسية داخل السجن أصبحت عادية تماما بالنسبة له تأقلم مع مصاعبها والمعاناة الدائمة داخلها.

لقد كان لعلم النفس التحليلي دورا هاما في نمو و تطور تفكير الذات الإنسانية، فقد عمل على تحليل و دراسة بنيّة الشخصية و طوّرها من خلال تطرقه للجانب الشعوري واللاشعوري لها و إدراك التصرفات والسلوك التي تتبع منها.

« يحتل علم النفس العام مكانة هامة في حياة الأفراد والمجتمعات لإسهاماته العلمية في مختلف المجالات، فمن خلاله يتحدد السلوك الإنساني في مظاهر الحياة عامة، فيقدم الحلول العملية و العلمية التي تساعد على توجيه الأفراد وتحقيق السعادة الإنسانية و له مكانة معتبرة في العلوم عامة، و في العلوم الإنسانية خاصة »².

عمل علم النفس العام على تبرير السلوك عن طريق تقديم حلول تفسيرية تضمن السعادة للأفراد التخلص من المشاكل الإنسانية والعوائق التي تعرقل مسيرتها لأن البيئة لها دور هام و تأثير كبير في نفسيّة الإنسان فمثلا روايتنا القوقعة "بطل الرواية" سجين تأثر بما يحيط به داخل السجن من سجناء و سجانين ومن أشكال الزنازين ومن المعاملات الوحشية التي يتلقاها كل يوم لم تكن حkra على سعادته بل تحدى الأمر و تخطاه رغم المصاعب والمشاكل التي أحاطت به، كان الوحيد المسيحي بين جماعة من المسلمين يرونه جاسوسا ملحدا وكافر نجس.

¹ مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلمص، ص82.

² صالح بلعيد: علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2011، ص127.

يقول: « ... كيف تقولون على أنفسكم أنكم مسلمون و تسمحون لجاسوس كافر أن يعيش بينكم؟ مع أن الله سبحانه و تعالى قال: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ سورة البقرة الآية 191.

و طالب الجميع بمحاكمتي وإنزال حد الله بي، وحد الكفر والشرك بالله هو القتل، أصبحت حياتي معلقة على رد فعل المجموعات الأخرى وقد كانت كلها حيادية، فالأمر لا يعنيها وهي تعني عن تفجير مشكلة غير معروفة النتائج مع "أبو القعقاع" و جماعته¹.

حياة السجين في خطر وسط المسلمين يرونه كافرا لا يصلح أن يقيم بينهم، طالبوا بقتله و الخلاص منه من جهة السجناء لا يريدون بقاءه لأنه شخص يخالف الدين الإسلامي و يقف ضده، ومن جهة أخرى أفراد السجن يرونه جاسوسا ينتمي لجماعة إسلامية والإخوان المسلمين ووسيط كل هذه النظرات الثاقبة. حياة السجين الذي يقف صامدا أمام آرائهم وأفكارهم التي تضع حدا لنجاته.

لم يكد السجين أن يشفى من الندبات التي على رجليه حتى يتلقى ضربات أقوى عليها من طرف أشخاص تتعدم في قلوبهم الشفقة و الرحمة يقول: « عوقب المهجع بأكمله عقابا شديدا، وقد ضربني أحد العناصر بالكابل الرباعي على ندبة قدمي مما آلمني كثيرا أدخلونا وأغلق الباب مع التهديد والشتائم، كنت قد نسيت عادة الكلام، لكن لحظتها اعتقدت أنني إذا لم أتكلم فسوف "أختنق" شحنت نفسي بأقوال أبي و خالي لي منذ الصغر عن ضرورة أن أكون رجلا يتحمل المسؤولية². »

تبنى "بطل الرواية" الصمت طيلة فترته الماضية داخل السجن، لقد بات الأمر يؤرق كاهله حتى أراد الاتصال منه، أراد أن ينطق لقد اشتاق للكلام والدفاع عن نفسه، أصبح يرى

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص87.

² - المصدر نفسه، ص89.

في الصمت جبنا يريد أن يتحلى بالشجاعة و يواجه معذبيه بالواقع و يقف في وجوههم معارضا لحكمهم المعادي له و نظرتهم الحقيرة له.

« نظرت عبر الثقب، كانت ثماني جثث متدلّية عن الحبال، والعديد من الجثث على الأرض، هذه الجثث الثمان يبدو أنها آخر وجبة، الوحش "عنصر البلديات" يقف أمام الجثة الثانية من اليسار وهي جثة رجل بدين، يمسك الوحش بيده عصا غليظة ينهال بها ضربا على الجثة»¹.

لم ينجو حتى الميت من الضرب، لقد كان ملقى على الأرض والضربات تنهال عليه من كل جانب، تخلصوا منه والآن يريدون أن يتخلصوا من جثته، كان مبتغاته أن يسحقوا السجناء ويقضوا على آثارهم الطفيفة، فكيف لجثة هامة أن تحس بألم الضربات، قلوب السجانين كانت مليئة بالبغض والكراهية المتبادلة، صمت السجناء كان تحديا لهم، يعتبرونه قوة للسجين وذخيرة حية ضدّهم، يستفز السجين السجانين بصمته، حياته بأيديهم فإن قدر له الموت لن يترحموا على روحه و لن يرف لهم جفن، وإن قُدرت له الحياة فمصيره الصمود المقاومة، عجزه أمر دال على إستكانته و ضعفه وهذا ليس في صالح السجين سيؤدي به حتما إلى النهاية، مصيره معلق بين مقاومته وعجزه.

"بطل الرواية" له ميولات غريبة نحو صديقه الدكتور "تسيم"، ربما دينه يدعوه إلى المثالية أو الشذوذ، وازعه الديني ضعيف لا يمنعه ذلك من حب صديقه و القرب منه يقول: « هل أناقش الأمر معه بصراحة؟ ... ولكن لم؟ ... ما هي الفائدة؟...ألن يكون سببا في تحطيم علاقة الصداقة الرائعة هذه؟! ».

الملامسات بيننا، يحدث أحيانا ونحن في حمى الحديث أو اللعب أن أمسك يده فأشعر براحة و متعة غريبتين !!

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص94.

أبقى ممسكا بها أكثر مما يستوجبه الموقف!!¹».

ديانة كاتب الرواية "مصطفى خليفة" الإلحاد لم يكن الأمر بمنتهى الصعوبة له، كان باستطاعته أن يصارح زميله لولا خوفه من ردة فعله، ومع هذا نجده يشك في أنه يبادل له الشعور نفسه، لأن أفعالهما وتصرفاتهما تتطابق في كل موقف ويحس "بطل الرواية" أن هناك انسجاما بينهما، لم تطغ مشاعر "بطل الرواية" عليه بل استطاع أن يفسر الأمر ويتخطاه، ربط الأمر بحالته داخل السجن.

يقول: «هل يمكن أن تكون مفاعيل السجن و تأثيراته قد غير بنيتي النفسية بحيث يجعلاني أسير في هذا الاتجاه؟

لكن عقلي يرفض ذلك رفضا باتا

و خوفي الشديد ... هل يمكن أن يكون دلالة صحة إذا كانت مشاعري وعواظي دلالة مرض؟!

و لكن ... هل هذا كله وهم؟ ألا يمكن أن أعطي الموضوع حجما أكبر من حجمه الحقيقي؟ لماذا لا أدع الأمور تسير سيرا طبيعيا؟ ... و ليكن ما يكون²».

أحس "بطل الرواية" بأن كل هذه الأمور التي تحدثت معه نتيجة لمرض نفسي بداخله وأنه من غير المعقول أن تنشأ علاقة بينه و بين صديقه لأن ما يربط بينهما علاقة صداقة ليست إلا، توصل في الأخير إلى أن هذا كله وهم وأن "تسيم" صديقه سيظل صديقا ولن تتحول علاقتهما إلى علاقة حميمية لأنه سيخسر صديقه و سيرفض أفراد السجن ذلك، تلك العلاقة لأن الجميع مسلمون و تعاليم الإسلام تقف ضد المثالية.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص99.

²- المصدر نفسه، ص100.

أعدم داخل السجن ثلاثة أولاد لأب لا يملك غيرهم، لم يتقبل الأمر قابلهم بالرفض لأنه سيظل وحيدا بعد موتهم، و سيعاني كثيرا بعد فراقهم يقول الروائي:

« رفع الأب رأسه، شملهم بنظرة ناهلة حارقة، رفع يديه باتجاههم، التقط أولاده اليدين وأخذوا بتقبيلهما... وأجهش الأربعة ببكاء فجائعي، عم البكاء المهجع كله ... أخذ الرجال جميعا يجهشون و يشهقون ...»¹.

ودّع "أبو أسعد" أولاده الثلاثة بحرقه، أعدموا أمام عينيه فلذات كبده وما بيده حيلة سوى الإفراط بالبكاء و رثائهم.يقول الروائي:

« أفلت الأب نفسه من قبضة وركض برشاقة شاب عشريني يده ممدودتان إلى الأمام اتجاه الباب ... وهو يلهث:

-أولادي ... يا جماعة أولادي ... و لك يا "أسعد" ... "رجاع" ... "رجاع" !! و لك أكيد في غلط ... و لك يا ابني "رجاع" ... خليتني أنا روح محلك !!!»².

قام السجناء بمواساة الأب المسكين "أبو أسعد" ليصبر ويتقبل أمر موت أولاده، لكن الأمر فاق المعقول وخرج عن سيطرته، يجهش بالبكاء عند تذكر الموقف كيف لا وهو رأى بأمر عينه أولاده على حبل المشنقة، ضاق صدره واشتدت محنته أثر ذلك في نفسية السجناء ويخص الروائي بالذكر "تسيم"، لقد عانى فراقهم كلما يتذكر يجهش بالبكاء، دموعه تنهمر لا تتوقف لحظة يقول الروائي: « أما "تسيم" فقد ساء وضعه كثيرا، بقي صائما عن الطعام والكلام مدة خمسة أيام كاملة بعد إعدام الإخوة الثلاثة، حينها تعاوننا أنا و"أبو حسين" على إقناعه بأن يتناول قليلا من الطعام، رغم ذلك دخل في حالة من الاكتئاب الحاد

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص104.

²- المصدر نفسه، ص105.

عزوف عن الكلام، لم يعد يلعب الشطرنج وتوقف عن الأعمال الفنية التي كان يشغلها من العجين»¹.

دخل "نسيم" في حالة من الذعر خاصة وأنه تأثر بعد موت الإخوة الثلاثة، حالته النفسية ساءت جدا حتى وصل به الأمر إلى التوقف عن الكلام، بعض الأنشطة التي كان يمارسها والأعمال التي يستهويها توقف عن فعلها، "بطل الرواية" يقف إلى جانبه يحاول محاورته كي لا تزداد حالته سوءا، لاحظ تعبيرا في أفعاله.

لم يعد "نسيم" كما عهده سابقا، تغيرت تصرفاته، ميله إلى الدهشة والفكاهة لقد تغير كثيرا.

استمرت حالة نسيم طيلة فترته داخل السجن وخارجه، أراد أن يتخلص من حياته في بادئ الأمر كان يرفض تناول الدواء لأن أفراد السجن قاموا بتقديمه عنوة وغصبا تتواله فترة لكن حالته بقيت كما هي، خرج "نسيم" من السجن وبقي على نفس الحال، لقد مات وأهدى روحه لصديفته "بطل الرواية"، يقول الروائي:

« قلق رغم أنني لم أحس بفرحة متوقعة لدى رؤية "نسيم" مرة أخرى أحسست أنه إنسان عادي، لا بل إنسان مريض، واغتنتم فرصة انشغاله الدائم إلى نقطة محددة في البحر لأسأل "هشام" خفية وبالإشارة فيما إن كان "نسيم" يتناول دواءه بانتظام؟

"هشام" قلبي شفته السفلى دون اكتراث، لا يعرف! »².

ودع "نسيم" صديقه وأخبره أنه سيقدم له هدية، "بطل الرواية" لم يكن يعرف أنه سيهديه جثته كهدية له يقول:

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص 107.

² - المصدر نفسه، ص 151.

« لم يتم "هشام" كلامه، سمعنا صرخة من سطح البناية، رأينا "تسيم" يلوح بيده وينادي اسمي... ويردد بأعلى صوته، فهمنا منه ما معناه إنه سيقدم موته هدية لي!!!
وقفز.

على الرصيف... أمام مدخل البناية، تحول "تسيم" إلى كتلة من الدماء واللحم المهروس والعظام المحطمة أمام جمع كبير من المارة، وأمام أعيننا... قفز "تسيم" من سطح الطابق السادس إلى الرصيف أمام البناية و... مات "تسيم" ¹.

لقد مات صديق "بطل الرواية" الحميم، سنده داخل السجن كان أمله الوحيد وسط أعين لثاقبة تكن له الكره والحقد وتراه كافرا نجس، وقف إلى جانبه وقت محنته حين نبذه كافة السجناء، تبادل أطراف الحديث وتشارك أبسط الأمور.

انتاب القلق والخوف "بطل الرواية"، واصل العد ليعتم الإفراج عنه، متى سيحين وقت عودته إلى أهله وذويه للتخلص من هذا الكابوس الذي بات يطارده بين الفينة والأخرى يقول:
« الغبار يملأ الأجواء

بعد ستة أشهر أو سبعة سأتّم عامي الثاني عشر في السجن، لقد عُدت إلى عدي الأيام والشهور وهذا في عرف السجناء دلالة سوء، لكن ألا يحق لي أن أتسأل إلى متى؟» ².

تعرض السجناء داخل السجن إلى حالة من الاكتئاب والضغطات النفسية، معاناة ذاتية وصراع داخلي يؤرقه و«الاكتئاب تحديدا هو أحد أكثر الاضطرابات النفسية انتشارا... وهو اضطراب للمزاج، مع هبوط في الحالة النفسية والجسدية، وأسبابه عوامل وراثية ومكتسبة، مثل التعرض للضغوط والخسارة، وللاكتئاب أنواع متعددة تختلف في شدتها ومن أهم

1 - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص153.

2 - المصدر نفسه، ص110.

مضاعفاته الانتحار...»¹. هذا ما حدث تماما مع " نسيم" حالة من الاكتئاب الحادة أدت به إلى الخلاص ووضع حد لحياته مات منتحرا، بسبب الاكتئاب ينتج عادة من الظلم والجور. « ينتج الظلم من الحياة الاجتماعية التي يحياها الإنسان مع بني جنسه، والذين ليسوا ببعدين عن ممارسة الظلم إزاء بعضهم البعض، ولهذا يروي "فرويد" أن الإنسان ليس بذلك الكائن الطيب السمح، ذي القلب الضمئان إلى الحب الذي يزعم الزاعمون أنه لا يدافع عن نفسه إلا متى هوجم، وإنما هو على العكس كائن تنطوي معطاته الغريزية على قدر لا يستهان به من العدوانية»².

الظلم يؤثر على الحالة النفسية ويعرقل مسيرتها يضع السجين في حيرة يبقى دائما يفكر في الأسباب التي أدت إلى سجنه، وأكبر مثال "بطل الرواية" الذي عاش ثلاثة عشر عاما من الحيرة والاكتئاب والخوف، حالة من عدم الاستقرار الذاتي، ماذا فعل كي يجازى جزاء دفع ثمنه صحته وجسده، وحالته النفسية أعواما، ذنبه الوحيد الإلحاد وسط جماعة إسلامية تنبذه وتكره حتى نفسه بينهم.

يستحضر ماضيه السعيد يصحبه أمل وبؤرة فرج وسط ركام من التعاسة والحياة الضنكى بين وحوش تستلذ المعاناة، ويشفى غليلها عند رؤية السجناء يسقطون أمامهم.

تستمر المعاناة والتتكيل ليل نهار دون توقف ولا كلل ولا شفقة، يرددون اسم الرئيس والتحيات الجلية أثناء إصدار حكم الإعدام، يرون أنهم على حق وأن العدالة تحققت وأرواحهم جثة نجسة ليسوا شهداء ولا أتقياء، ومن يتلفظ بحرف واحد يدل على أنهم شهداء يلقي حنقه ومصيره يكون كمصيرهم.

¹- ديزيره سقال: الإبداع الأدبي والتحليل النفسي (بين منهج الدراسة النفسية والتحليل السريري، دار كتابات، بيروت، ط1 2012، ص99.

²- محمد الاحمد: البعد النفسي في رواية حمامات بيض ونار جيلة لاحمد زياد محبك، مجلة البحوث العلمية الشرقية جمعية البحوث الشرقية، تركيا، المجلد11، العدد2، 2019، ص622.

كانت الوضاعة سببا في تدهور الحالات النفسية، مختلف وسائل التعذيب تؤثر سلبا على الصحة النفسية للسجين، تحط من كرامته ومن مستواه ينقل الروائي أحداث مروعة يندى لها الجبين، التعذيب حتى أثناء إحضار الطعام معاناة كبيرة .

يقول: « يوضع الطعام في صحن قدر على بعد عشرة أمتار من باب الزنزانة يفتحون الباب... يجب أن يخرج السجين سائرا على أربع كما تسير الكلاب... وأن يظل ينبج في الذهاب... وفي الإياب بعد أن يحمل الصحن... خلال كل هذا تكون الكرابيج قد أكلت قطعاً من لحم ظهره !!

النوم على الإسمنت... لا بطانيات ولا أغطية ولا أي شيء¹.

يساوي السجان السجناء بين الإنسان والحيوان حيث يعامل السجين بحقارة تامة يرغمه على إصدار أصوات لا يمكن أن تليق بكونه كائن بشري، بهدف التقليل من شأنه و كرامته وكذا أن يحط من إنسانيته متناسيا بذلك بأن الله كرم بني آدم عن سائر مخلوقاته و ميزهم عنهم، فالنفس البشرية أمانة يجب أن تُصان لا أن تهان .

خرج السجين من السجن بعد ثلاث عشرة عاما قضاها قهرا و ظلما، قاسى فيها وعانى أشد المعاناة، تجرع كؤوس العذاب كل كأس بطعم مختلف حتى جاء اليوم الذي تم فيه الإفراج عنه،

يقول:

« هذه مدينتي ... لم أعرف شيئا في الشوارع التي كنا نسير فيها!... مدينتي التي ولدت فيها و ترعرعت و كنت أحسب نفسي ضائعا في معرفتها، لم أعرف في أي شارع نحن

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص113.

وإلى أين نتجه!... لقد تغيرت إلى درجة يصعب على من غاب عنها هذه المدة أن يعرفها»¹.

غير السجن كينونة السجين، فرغم الحنين الذي كان يحمله داخله تجاه وطنه إلا أنه لم يعرف شوارع مدينته، تلك السنوات التي قضاها داخل قضبان السجن غيرت كثيرا من حياته، فحتى السجين في حد ذاته لم يعرف نفسه ربما تأقلم مع معيشة ضنكى داخل السجن، أطلق سراحه لأن خاله أصبح وزيرا له مكانته وسمعته.

تعلم الكثير بطل الرواية داخل السجن الكثير من العبر.

يقول: « مهما تألمت من التعذيب فلا تعترف بشيء لكي تتخلص من الألم، لأن الاعتراف مهما كان صغيرا سيجعلهم يعرفون أنك قد ضعفت، لذلك فإن كمية التعذيب ستزيد لانتراع المزيد من الاعترافات بدلا من أن تنتهي»².

حياة القهر التي عاشها السجين أنسته كيف كان يعيش سابقا، طيلة مدة السجن كان لا يلبس حذاء ليستر قدميه تورمتا من شدة الجلد، لم يعد يطبق الحذاء يقول: « مشيت إلى جانب السجان متوجسا مرتبكا، كنت أقع مرتين بعد أن تعثرت بالحذاء الذي ألبسه - ما أصعب المشي بالحذاء- وصلنا إلى غرفة بابها مفتوح يجلس فيها رجل كهل أبيض الشعر، وامرأة شابة تحمل على صدرها طفلا رضيع، وضع السجان يده على ظهري بلطف. وقال:

- تفضل ... أدخل»³.

يفقد بطل الرواية الإحساس بالثقة في نفسه مرات عديدة يتبين له أنه شخص جبان عندما يخاف السجان ووقع الجلاذ ومرات يتذكر صموده و مقاومته يدرك أنه شخص قوي باسل.

¹- مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص117.

²- المصدر نفسه، ص122.

³- المصدر نفسه، ص134.

يقول الروائي: « أنا خواف ورعديد و جبان ... إلى درجة أنني قد أتبول في ثيابي من الخوف، أنا شجاع و صلب و عنيد ... إلى درجة أنني أصمد أمام أقسى أساليب التعذيب لكن ... وبكل الأحوال لست بطلا، فسلوكي هذا الطريق لم يكن بخياري و البطل لا يمكن أن يكون بطلا لسلوكه طريق الإكراه»¹.

تتفاوت آراء الروائي بين كونه باسلا مغوارا تحدى القمع والتتكيل نجا منه بأعجوبة كبيرة وأنه الآن واقف على رجليه حيا يرزق، و بين وجوده في السجن لأسباب مجهولة ليست بمحصى إرادته لم يختار مكان إقامة السجن مخيرا بل قاده قدره إلى ذلك المكان مجبرا.

بعد خروج "بطل الرواية" (السجين) من السجن، بعد مرحلة السجن أتاه عرض لتحقيق حلمه، سيصبح مخرجا سينمائيا معروفا، طموحه الوحيد السبب الرئيسي الذي عاد لأجله من فرنسا ليحققه، لكن السجن غير منه كثيرا لم يعد ذلك الشخص الذي كان يحمل نفس الآمال والطموحات والتطلعات يقول "بطل الرواية": « بعد مضي حوالي أسبوعين طلبني على الهاتف موظف كبير في الإذاعة والتلفزيون عرفني على نفسه وطلب مني الحضور إلى مكتبه لمناقشة سيناريو مسلسل تلفزيوني و قال:إذا أعجبك السيناريو فورا نوقع العقد لتخرجه، ولا تسأل عن الإمكانيات المادية فهي متوفرة و الحمد لله.

احتجت إلى الكثير من اللباقة لكي أعتذر لكنه واصل... ورفضت»².

لم يكن "بطل الرواية" في حالة تتبنى له العمل والبدء من جديد، بل يحتاج وقتا طويلا وصبرا جميلا ليتخطى هذه العتبات التي أصبحت هاجسا في حياته لا يمكنه نسيانها، إنها مثل النديات تحتاج وقتا طويلا كي تشفى وتضمحل، لم يكن في استعداد بسبب الحالة النفسية التي طبعت في شخصه. يقول الروائي: « طوال الشهور الماضية حياتي محصورة

¹ - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص142.

² - المصدر نفسه، ص147.

بمجموعة من الأفعال القليلة وعلى الأغلب قسم منها السبب أو العلة للقسم الثاني، أنام، آكل، أشرب...و... أستيقظ، أتغوط، أتبول...أتجول هائما على وجهي في الشوارع و الطرقات و الحدائق حولي الكثير من الناس لكني لا أحظ الوجوه، أحس الناس كتلة هلامية أو كتلة بشرية ... جزء من الهواء المحيط بي»¹.

كان "بطل الرواية" يظن أنه إذا خرج من السجن ستتغير نظرتة التثاؤمية للحياة ظنا منه أنه سيحقق كل ما راودته نفسه على فعله، لكن العكس لا يزال يقبع في قوقعته لا يريد الخروج منها ولا النظر للعالم الخارجي يقول: «كنت أمني النفس أنه إذا قبيض لي أن أخرج من جهنم هذه، سوف أعيش حياتي طولا وعرضا و سأحقق كل هذه الأحلام التي راودتني هناك

الآن... ها قد مضى عام كامل... لا رغبة لدي في عمل شيء مطلقا

أرى أن كل ما يحيط بي هو فقط الوضاعة و الخسة... و العنائة !!!»².

كتب الروائي روايته "القوقعة" خارج السجن بعد أن دون معظم تفاصيله في ذهنه لأن السجن يمنع فيه الكتابة لا وجود لأوراق ولا أقلام داخله، حول ذهنه إلى شريط تسجيل سجل كل هذه الأحداث المروعة ونقلها لنا في شكل رواية، ربما هي رواية سيريه داخل السجن، "فمصطفى خليفة" يرى أن بطل الرواية هو شبيهه لم يخصه باسم، جعل كنيته مجهولة، ربما "مصطفى خليفة" كان هو البطل في الرواية لأن أحداث الرواية شبيهة لحياته الشخصية داخل سجن "تدمر" السجن الصحراوي الذي قضى نصف عمره داخله. ربما الجانب النفسي للروائي دفعه إلى كتابة "رواية القوقعة"، تعذيب ومعاناته داخل السجن الصحراوي نمت في روحه حب الكتابة وبث وقائع شنيعة و فضح النظام الفاسد في قالب قصصي أدواته اللغة كسلاح للمقاومة.

1 - مصطفى خليفة: القوقعة يوميات متلصص، ص149.

2 - المصدر نفسه، ص156.

« إن العلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي في الأخير وأن الأدب يكشف عن المكونات النفسية، وكلاهما يفيد في الأخير، ويسهم في فهم العلاقات الناشئة بينهما منذ لحظة الوداع»¹.

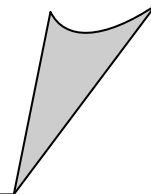
هكذا هي رواية القوقعة مثال للأدب السياسي، رواية من روايات أدب السجون تحكي واقعا إجراميا في ظل حكم الرئيس السوري "بشار الأسد" نظام صارم تعرض فيه الروائي "مصطفى خليفة" للعديد من العقبات داخل السجن، لكن في الأخير خرج وعاد إلى أهله وتبين أنه سجن ظلما بسبب تقرير كاذب يقول بأنه جاسوس ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين ولكنه في الحقيقة رجل ملحد يدين الديانة المسيحية، ولا يعرف عن الدين الإسلامي سوى ما سمعه من أصدقائه داخل السجن، حفظ عنهم القرآن، وصلى معهم صلاة الجنازة وصلاة الخوف، أعلن إلحاده أكثر من مرة و لكن لم يكثر أفراد السجن لذلك، لكن السجناء نبذوه و كانوا يعدونه كافرا متطرفا و يجب أن يبتعدوا عنه ولا يخالطونه، ظل وحيدا، صادق صديق واحد مات في الأخير وتركه يتلصص في قوقعته.

قوقعته لم تتركه لحظة في بداية السجن كانت مجرد ثقب يتلصص من خلاله أفراد المهجع وكيف تتم عملية الإعدام والضرب بالكرابيج.

وفي النهاية لازمته القوقعة حتى بعد خروجه من السجن، هواجسه وآلامه و معاناته لاحقته حتى أصبحت بمثابة نوبات هستيرية تصيبه كلما تذكر الأمر و كيف تخطى كل تلك السنوات العجاف.

¹ - محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، ص21.

الخاتمة

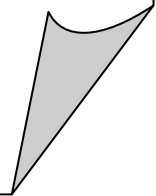


الخاتمة:

وفي الأخير نشير إلى مجموعة من النتائج المتحصل عليها من خلال بحثنا:

- للمكان وظيفة في العمل الروائي ويمثل ركنا هاما، فهو يكشف عن علاقته بالأشخاص ومدى تأثيرهم به.
 - للشخصيات حضور في الرواية، تعمل على تنمية الحدث و سيرورته.
 - تلعب الشخصيات دورا أساسيا في تجسيد الحدث على ارض الواقع.
 - أدب السجون أدب قديم استمر في العصر الحديث في أجناس أدبية مختلفة كالرواية والشعر والرسائل والمذكرات.
 - رواية السجن جنس أدبي ظهر أكثر في الأنظمة المستبدة فمعظم أصحابها يناضلون من اجل الحرية واثبات الذات الإنسانية.
 - قامت رواية السجن على فضح الأنظمة السياسية وكشفت عن عيوبها، وكذا أزمة المتقف والسلطة.
 - توضح رواية السجن الصراعات الإيديولوجية والأزمات النفسية إزاء المعاملات القاسية التي يتعرض لها السجناء.
 - كشفت رواية القوقعة لمصطفى خليفة عن أسباب الاعتقال وظلم السلطة للمتقنين والكواليس التي تحدث داخل المهجع.
 - تؤكد رواية القوقعة تجربة السجن الطويلة وإشكال التعذيب والاضطهاد والقهر وأساليب الاهانة للمساجين الذين لا يحملون اسم ولا لقب.
 - صورت رواية القوقعة الحالات النفسية الصعبة للبطل داخل السجن وخارجه.
- تجاوزت رواية القوقعة كل ما هو موجود في الواقع وقدمت صورة شاملة وعميقة لواقع السجن والواقع السياسي.

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

أ- المصادر

1- رواية "القوقعة" لمصطفى خليفة يوميات متلصص، دار الآداب، بيروت - لبنان ط1
2008.

ب- المراجع

1- المراجع باللغة العربية

1. أحسن أبو غدة: أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، مكتبة المنار - الكويت -
ط1، 1987.

2. احمد محمد عاشور اكس : صفحات تاريخية خالدة، منشورات المؤسسة العامة للثقافة
ط1، 2009.

3. احمد محمد عطية: الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية السياسية، مكتبة مدلولي
القاهرة، (د - ط)، (د - ت).

4. أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس
لبنان، ط1، 2005.

5. حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن الشخصية)، المركز الثقافي
العربي، بيروت، ط1، 1990.

6. حسن سليم نعيسة: شعراء وراء القضبان، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - سوريا، ط1، 1986.

7. حسن نجمي. شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي
العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

قائمة المصادر والمراجع

8. حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1991.
9. ديزيره سقال: الإبداع الأدبي والتحليل النفسي (بين منهج الدراسة النفسية والتحليل السريري، دار كتابات، بيرزت، ط1، 2012
10. زكرياء إبراهيم: مشكلة البنية، مكتبة مصر، (د- ط)، (د- ت).
11. زهير احداون: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، مؤسسة إحداون للنشر والتوزيع القبة، ط1، 2007.
12. سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، ط1، 2003.
13. سليمان بن صالح الخراشي: المشاهير والسجون، دار ابن الأثر الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 2003.
14. سليمان معوض: مدخل إلى الأدب الغربي المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان 2005.
15. سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د- ط)، 1948.
16. الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
17. شعبان يوسف: أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د- ط)
18. شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس، بيروت، ط1، 2005.
19. شوقي ضيف: البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف القاهرة، ط7.
20. الشيخ محمود المصري: يوسف الأحلام، قصة يوسف عليه السلام، مكتبة الصفا الأزهر - القاهرة، ط1، 2008.

قائمة المصادر والمراجع

21. صالح بلعيد: علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط2 2011.
22. صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد العربي، دار المشرق، القاهرة، ط1 1998.
23. عبد الله ركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي. القبة الجزائر، 2009.
24. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.
25. عدنان حسين احمد: أدب السجون خلال سنوات الحكم الدكتاتوري في العراق (دراسة نقدية تطبيقية)، دار الحكمة، لندن.
26. علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3 2004.
27. فواز الشعار: الأدب العربي إشراف اميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط1 1999.
28. فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية سعيد بن كراد، دار الكلام للنشر الرباط، المغرب، (د- ط)، 1990.
29. مجموعة من المؤلفين: أحكام السجن ومعاملة السجناء، تح، محمد عامر حمصي مكتبة المنار، الكويت، ط1، 1987.
30. محبوبة محمدي محمد زيادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، (د- ط)، دمشق، 2011.
31. محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة ط1 1984.

قائمة المصادر والمراجع

32. محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون الجزائر، ط1، 2010.
33. محمد عزام: شعرية الخطاب السردى دراسته، من منظورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005.
34. محمد مندور: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، إشراف دليا محمد إبراهيم، مصر، ط1، 2006.
35. مرشد احمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2005.
36. نجيب محمد مسباغي: التحليل النفسي للرواية: نجيب محفوظ انموذجا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د- ط)، 2009.
37. واضح الصمد : السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1995.
38. يسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، ط1، 1986.

2-المراجع المترجمة

- 1- ادوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر و تق محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2002.
- 2- تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر- عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف المركز الثقافي البلدي احمد عيدوني، (د- م)، ط1، 2005.
- 3- تيري كوبرز: الجنون في غياهب السجون " أزمة الصحة العقلية خلف القضبان ودورنا في مواجهتها، تر: أميرة علي عبد الصادق، مرا: هاني فتحي سليمان، مركز الانماء القومي بيروت - لبنان، ط1، 2015.

قائمة المصادر والمراجع

- 4- جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزن دار، مرتوق، محمد بزيري، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط1،
- 5- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط6، 2006
- 6- ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، تر، يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ط1، 1988.
- 7- ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة، "ولادة السجن"، تر: على مقلد مروتق: مطاع الصفدي مركز الإنماء القومي للنشر، بيروت- لبنان، (د- ط)، 1990.
- 8- المعاجم والقواميس
- 1- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ج1، تركيا، ط2، (د - ت).
- 2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2، ط1، 2004، مادة (ب - ن - ي).
- 3- أبي الحسن احمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة نح وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1، 1979.
- 4- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مج1، ط1، 2008.
- 5- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج18، تح عبد الكريم العزباوي، سلسلة تصدرها وزارة الاعلام في الكويت، الكويت- لبنان، ط1، 1979.
- 6- المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مج9، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 2007.

9- الرسائل الجامعية:

- 1- شيرين محمد حسن سليمان: دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون،(رسالة ماجستير)،جامعة بيت لحم القدس - فلسطين،2018.
- 2- علي منصورى: البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2007/2008.

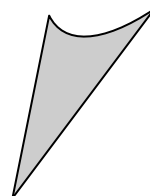
10- المقالات و المجلات:

- 1- حمزة حمادة: ثنائية السجن والغربة في ديوان (حصار السجن) لأحمد سحنون، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد02، 2020/09/15، الوادي- الجزائر.
- 2- زوزو نصيرة: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، العدد6 مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جانفي 2010، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- 3- سليم بتقه: تلمسان نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، المخبر، العدد6 جامعة محمد يخضر - بسكرة، الجزائر،2010.
- 4- طارق زيناى: صورة المكان في المخيال الصوفي، المركز الجامعي عبد الحفيظ بموصوف، ميله، الخطاب، مج13، العدد1،السنة.
- 5- فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد2، العراق، 2011.
- 6- كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال "للطيب صالح"، الأثر مجلة الآداب واللغات،ورقلة العدد4، ماي2005.
- 7- محمد الاحمد: البعد النفسي في رواية حمامات بيض ونار جيلة لاحمد زياد محبك مجلة البحوث العلمية الشرقية، جمعية البحوث الشرقية، تركيا، المجلد11،العدد2، 2019
- 8- محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد19 العدد (1-2)، 2003.

قائمة المصادر والمراجع

- 9- مراد عبد الرحمان مبروك : السرد الروائي و ثنائية التضاد في أدب الاغتيالات والسجون من منظور غريماس، مجلة الكلم، العدد01، (2020)جامعة قطر.
- 10- ناصري علاوة: استدعاء الشخصيات التاريخية، التواصل في اللغات و الثقافة والأدب (نونية يوسف القرضاوي)، العدد29، ديسمبر2011.
- 11- نوال بن صالح: هواجس البلاغة في أدب المحنة، مجلة المخبر، العدد13، 2017 جامعة بسكرة- الجزائر.
- 11- دواوين شعرية**
- 1- ديوان عدي بن زيد العبادي، سلسلة كتب التراث، المكتبة المركزية لجامعة بغداد- حق و جم محمد جبار المعبيد،1965.

الفهرس



رقم الصفحة	المحتوى
5-2	مقدمة
27-7	الفصل الاول: ضبط الجهاز المصطلحاتي
7	مفهوم البنية
9	مفهوم الشخصية
13	انواع الشخصيات
14	مفهوم المكان
16-17	المكان في الصوفية والفن
18	انواع المكان
21	ثقافة المكان
22	الفرق بين الفضاء والمكان
24	مفهوم الرواية
50-29	الفصل الثاني: ادب السجون
29	مفهوم السجن
31	مفهوم الادب
33	ادب السجون
37	بين التعذيب والمقاومة
40	السبب الجوهري لظهور ادب السجون
42	اهم المشاهير داخل السجن
46	موضوعات ادب السجون
48	الرواية السياسية
108-51	الفصل الثالث: المكان والشخصيات في رواية القوقعة
51	المكان في القوقعة
65	الشخصيات في القوقعة

الفهرس

88	البعد النفسي
110	خاتمة
112	قائمة المصادر والمراجع
-	الفهرس